سلسلة تفريغات شبكة بينونة

شرح

النصيحة الوالدية

وصية أبي الوليد الباجي لولديه

الشيخ حامد بن خميس الحنبي

للمزيد من التفريغات

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم شرحًا لكتاب

النصيحة الولديّة

وصية أبي الوليد الباجي المالكي لولديه

للشيخ

حامد بن خميس الجنيبي

- حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ..

اللهم يا ذا الجلال والإكرام، يامن لا إله إلا أنت، اللهم انفعنا بما نقول وانقعنا بما نسمع إنك سبحانك جوادٌ كريم.

فهذا أوان الشروع أيُّها الأحبة في رسالة نافعة من الرسائل التي سطرها أهل العلم، تضمنت كثيراً من الوصايا الجميلة، والعظات الجليلة التي يحتاج إليها كل انسان، سطَّرها أحد علماء الاسلام وصيةً لولديه، فكتب لهما وصية جامعة نافعة عظيمة، وتمخضت تلكم الوصية على صغر حجمها عن تأليفه لكتابٍ كبيرٍ ضخم فيه عدة من الأحاديث النافعة التي جعلها كالشرح لما ذكره في هذه الوصية العظيمة.

ووصية المُصنف رحمه الله تعالى كما أشرنا هي من الأمور التي يعتني بها الإنسان الذي يريد أن يكون مُصلحاً في مجتمعه، ويكون مصلحاً في بيته: في ولده، في زوجته، في ذُريته، في أقاربه. ويكون مصلحاً في من يسر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى له أن يكون هادياً الى الخير مرشداً إليه.

ومُصنِّف هذه الرسالة هو: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الباجي رَحِمه الله تعالى، ولد في السنة الثالثة بعد الأربعمئة من هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في بطليوس من بلاد الأندلس، وانتقل جدُّهُ الى باجة وهي كذلك في بلاد الأندلس والآن في شرق البُرتُغال وبها سُمي ونُسِب رَحِمه الله تعالى، فنشأ في بيت أهل علمٍ وفضل كما سيشير الى ذلك في هذه الرسالة العظيمة، فجده سعد من أهل العلم والفضل والصلاح، وكذلك والده وأعمامه، وكذلك إخوته، وكذا أراد أن يكون أولاده عليهم أجمعين رحمة الله تعالى، وكان على مذهب الإمام مالك رحم الله الجميع، وكان ممن عُرف عنه العلم ونشره في بلاد الأندلس، وكان من أفاضل العلماء في تلكم البلاد، وقد توفي رَحِمه الله تعالى في السنة الحادية والسبعين بعد الأربعمئة في جنوب بلاد الأندلس.

هذا العالم الفاضل كتب هذه الوصية العظيمة التي لازالت يتوارثها الناس الى يومنا هذا، ومن علامات النفع للوصايا أن يجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لها بركة كما قال مالك ابن أنس رَحِمه الله: «ما كان لله فسيبقى وما كان لغيره فسيفنى» حين طُلب منه أن يُجعل موطأه للناس رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الجميع.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أمرنا بأن نسعى في إصلاح هذا المُجتمع، وأمرنا سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن نسعى في إصلاح الأقارب، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ [١]»

(١) - الشعراء (٢١٤).

وأمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بإصلاح أهلنا فقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى في كتابه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (١)».

ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أكَّد على هذا المعنى فقال: «الولد من كسب أبيه (٢)» فللوالد من الأجر ما يكون لولده، ويكون الولد فيه من الصلاح ما يكون من أسباب الوالد، ولذلك جاء في سورة الكهف «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٣) ❋ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٤)» فلعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يأخذ الولد الفاسد فيعوض الوالد الصالح بولدٍ صالح، وكذلك كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ (٥)» فجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هذا الأمر به يشيع الخير في أهل البيت، وكلما عظم صلاح أهل البيت عظمت فيه البركة حتى إن العبد ليُحرم الخير والبركة بوجود الفساد في

---

(١) – التحريم (٦).

(٢) – أخرجه: أحمد (٢٤٠٣٢)، وأبو داوود (٣٥٢٨)، والنسائي (٤٤٥٢)، وابن ماجه (٢١٣٧). بلفظ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ» وصححه الألباني في: «صحيح الجامع» (٢٢٠٨).

(٣) – الكهف (٨٠).

(٤) – الكهف (٨١).

(٥) – الكهف (٨٢).

نفسه وفي أهل بيته، ولذلك تأمَّل في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا (١)»

فيكون الفراق بين الوالد وولده، وبين الولد ووالدته، وبين الزوج وزوجته، وبالعكس، فيكون الفراق حتى بين أقرب الأقربين بسبب وجود المعصية والذنب، وإذا كان الإنسان مُعظِّماً لله عز وجل محباً له، يريد أن يشيع الخير الذي عنده من محبة الله وتعظيمه واتباع أمره وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ونشر ذلك في الناس، فيريد أن يكون الصلاح في عموم الناس فكيف يكون حاله مع أهل بيته وخصوصاً ممن يكون ولده لصلبه، فهذا بلا شك أكثر ما يحرص عليه العبد، وإصلاح العبد لنفسه، ولأهل بيته خصوصاً وهو موضع هذه الرسالة النافعة أمر عظيم، لأن العبد يعلم أن ما سوف يأتي من الأمور التي تكون في حياة الولد، وفي حياة الذُّرية قد يكون بعضه متوقفاً على فعله وصنيعه هو بعد هداية الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أو خذلانه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُصلح الولد بصلاح الأب، وقد يفسد الولد بفساد الأب، وقد يكون الأب صالحاً ولا يكتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الصلاح للولد لحكمة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعالى كما حصل مع نبي الله تبارك وتعالى نوح عليه الصلاة والسلام، ولكن الإنسان عليه أن يسعى قدر الإمكان، وأصدق من يسعى في إصلاح الولد هو الوالد والوالدة، فالأبوان هُما أصدق من يسعى في صلاح الولد، صلاحه في دينه، وصلاحه في دنياه، والصلاح حتى في الدنيا

---

(١) - أخرجه: أحمد (٥٣٥٧)، والبخاري في: «الأدب المفرد» (٤٠١).

يُطلب، حتى لو كان الصلاح تاماً في عموم شؤون الدين، ولذلك نبَّه أهل العلم حتى على إن لم يكن الولد موفقاً الى طلب العلم أن يعتني به والده فيرشده الى ما فيه نفعٌ لأُمة الاسلام، فلا يخليه مما فيه فائدة ونفع يعود على دين الله تبارك وتعالى، إما نفع من جهة العلم الشرعي، او نفع من جهة ما يكون عائداً على نفع هذه الأُمة بالخير وبالبركة، حتى إن بعضهم كان يرسل ولده الى الثغور حين يعلم من قلة حرصه على العلم، فيرى أن دفاعه عن بلاد الاسلام خير له من أن يبقى خالياً لا يستفيد من بقائه في موضعه.

الـمُقدمَة

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

يَا بني هداكما الله وأرشدكما ووفقكما وعصمكما وتفضل عَلَيْكُمَا بِخَير الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ووقاكما محذورهما برحمته إِنَّكُمَا لما بلغتما الْحَد الَّذِي قرب فِيهِ تعين الْفُرُوض عَلَيْكُمَا وَتوجه التَّكْلِيف إِلَيْكُمَا وتحققت أنكما قد بلغتما حد من يفهم الْوَعْظ ويتبين الرشد وَيصْلح للتعليم وَالْعلم لزمني أَن أقدم إِلَيْكُمَا وصيتي وَأظْهر إِلَيْكُمَا نصيحتي.

.....

وتأمل فيما شرع فيه المصنف رحمه الله تعالى، من التنبيه والوصايا التي جعل فيها رحمه الله تعالى نوعاً من الدعاء الذي يجب أن يحرص عليه الأب وقد ثبت في الصحيح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ [١]» وفي لفظٍ: «دَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ [٢]» فهذا من الدعاء الذي يستجاب، وتأمل في اختياره للدعاء، فدعائه بأن يقيهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الشرور وهذا بلا شك من أعظم ما يدعو به الداعي للولد سواء الشرور التي تتعلق بأمور الدين أو بأمور الدنيا.

---

(١) - أخرجه: أبو داود (١٥٣٦).

(٢) - أخرجه: الترمذي (١٩٠٥).

لما رأى منهما أنهما قد قَرُبا البلوغ، وقرُب التكليف عليهما قال: «لزمني» أي صار واجباً علي، وموضع الوجوب في ذلك أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فيكون التعليم قبل البلوغ حتى إذا بلغ يكون قد تعلم فيكون عمله بما وجب عليه قد بدأ فيه بمجرد البلوغ، ولذلك كان يحرص سلف هذه الأُمة كما جاء عن علي والحسين وجمع من سلف هذه الأُمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أنهم كانوا يعلمون الصبيان شهادة التوحيد في الصغر، وجاء كما في البخاري وغيره لما أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بصيام عاشوراء كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يُصَوِّمون الصبيان ويجعلون اللعبة لهم من العهن كي يكون ذلك من التسلية وما ينسيهم الجوع والعطش فيكون ذلك تعويداً لهم، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال في الحديث الصحيح: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ [1]» فأمر بضربهم وهم ابناء عشر لأنهم في هذا السن غالباً لا يكون البلوغ فيه والله أعلم.

(١) - أخرجه: أبو داود (٤٩٥).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

مَخَافَة أَن تخترمني منية وَلم أبلغ مُبَاشرَة تعليمكما وتدريبكما وإرشادكما وتفهيمكما فَإِن أنسأ الله تَعَالَى فِي الْأَجَل فسيكثر النصح والتعليم والإرشاد والتفهيم وَمَا توفيقي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ توكلت وَعَلِيهِ فَليَتَوَكَّل المتوكلون بِيَدِهِ قُلُوبكُمَا ونواصيكما.

.....

نبَّه رحمه الله تعالى الى خوفه من اقتراب الأجل يعني الموت قبل أداء هذه النصيحة والوصية، فلعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقبض روحه قبل أن يوصي أولاده بهذه الوصية، والوصية لازمة في عنق الوالد لولده سواء كانت مكتوبة أو مسموعة، فالوصية لازمة، وقد كان السلف كما جاء عن أنس وغيره رَضِي اللهُ عَنْهُم يبتدؤون وصيتهم بالأمر بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وشهادة أن لا إله إلا الله فكان لهم حرص في الوصية على توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وحسن الاعتقاد والإيمان، ولذلك كما سيأتي في وصية المصنف أنه ابتدأ هذه الوصية رحمه الله بالإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وحرص المصنف الى أداء الوصية قبل الأجل حرصٌ على إنفاذ ما أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به وحرصه برغم أنه قد يتوفى قبل التكليف لأولاده، فإنه يرى مع ذلك أنه لا يسعه إلا أن يؤدي الوصية، والنصيحة، والتذكير، والوعظ. حتى يكون ذلك ذخراً له بعد موته، وكثير من الناس اذا رأى من ولده تقصيراً لا يحرص على الاستمرار في التذكير والنصح،

ولذلك قال المصنف رحمه الله: «فَإِن أنسأ الله تَعَالَى فِي الْأَجَل» يعني أخَّر هذا الموت فأنه سيستمر بالنصح والوعظ والتذكير بما ينبغي على العبد أن يعمل به.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَإِن حَال بيني وَبَين ذَلِك مَا أتوقعه وَأَظنهُ من اقتراب الْأَجَل وَانْقِطَاع الأمل فَفِيمَا أرسمه من وصيتي وأبينه من نصيحتي مَا إِن عملتما بِهِ ثبتما على منهاج السّلف الصَّالح وفزتما بالمتجر الرابح ونلتما خير الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وأستودع الله دينكما ودنياكما وأستحفظه معاشكما ومعادكما وأفوض إِلَيْهِ جَمِيع أحوالكما وَهُوَ حسبي فيكما وَنعم الْوَكِيل.

.....

لا شك أيُّها الإخوة الذي يقرأ هذه العبارات يحسب والله حسيب المصنف صدقه في هذا الدعاء، وصدقه في هذه النصيحة لولديه، وشدة حرصه على أن يكونا صالحين، وأن يعملا بما فيه سعادتهما قبل أن يكون في ذلك سعادة لغيرهما، وأن يكون في ذلك سبب لسلوك السبيل الصالح الذي هو سبيل سلف هذه الأمة الصالح من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأتباعهم والتابعين لهم بإحسان، وإشارته رحمه الله الى سلوك سبيل السلف الصالح لا شك ولا ريب أنه إشارة الى المنهاج الذي يكون فيه صلاح الدين والدنيا والفوز بما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فإن الخير كله هو في اتباع أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الذي قال فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّم: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ [١]» فهي خيرية في الاعتقاد، وخيرية في العمل، ولا خير أكمل من هذا الخير.

وجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى إيمان الصحابة ميزاناً كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٢]» يعني إن آمن المشركون بمثل ما آمنتم به يا أصحاب محمد فقد اهتدوا فهذا الميزان الذي كان عليه سلف هذه الأُمة.

---

(١) - أخرجه: البخاري (٢٦٥٢).

(٢) - البقرة: (١٣٧).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

لَا أحد أنصح للْوَلَد من وَالِده، واعلما أَن لَا أحد أنصح مني لَكمَا وَلَا أشْفق مني عَلَيْكُمَا، وَأَنه لَيْسَ فِي الأَرْض من تطيب نَفسِي أَن يفضل عَليّ غيركما وَلَا أرفع حَالا فِي أَمر الدّين وَالدُّنْيَا سواكما.

.....

وهذه كلمة عظيمة، وهنا أُشير الى مسألة وهي: ينبغي للناصح، والوالد، والمربي، والمعلم، أن يظهر نصيحته في قالب المحبة والحرص، لأن ذلك انفذ الى القلوب، فإظهار المحبة والصدق في النصيحة، والرغبة في الإصلاح، من أسباب قبول النصيحة ونفوذها في القلوب، نعم قد يكون هنالك من الولد من لم يكتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى له الهداية والصلاح، ولكن الإنسان يبذل في ذلك ما استطاع، فنوح عليه الصلاة والسلام لم يكتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لولده أن يكون صالحاً، ومع ذلك ما يئس حتى الى آخر لحظة وهو يرى ولده قد هلك في من أهلكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ويرى ذلك أمام عينيه، ولذلك ذكر أنه ليس ثّمَّ أحد يكون صادقاً في النصيحة ولا راغباً في إصلاح الإنسان أكثر من والده ووالدته، فأكثر الناس حرصاً على الخير لك هُما الوالدان، وليس ثَمَّ أحد أحرص منهما على أن تكون صالحاً في دينك وفي دنياك، وأشار بعد ذلك أنه ليس أحد يحب أن يكون فاضلاً عليه فيكون الوالد هو المفضول ويكون الابن هو الفاضل فليس هنالك أحد يرغب في أن يفضل عليه أحد في شيء إلا ولده من صلبه فيتمنى أن يكون

ولده لصلبه خيراً منه وأفضل منه وأحسن رُتبة منه، هكذا كل أب صالح فليس يضيره أن يكون ولده أحسن منه لا من جهة الدين ولا من جهة الدنيا، أما من جهة الدنيا فظاهرٌ واضح، وأما من جهة الدين فإن الولد من كسب أبيه، فكل ذلك عائد إليه لكن زاد في هذا محبة الوالد في إصلاح ولده.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَأَقل مَا يُوجب ذَلِك عَلَيْكُمَا أَن تصيخا إِلَى قولي وتتعظا بوعظي وتتفهما إرشادي ونصحي وتتيقنا أَنِّي لم أنهكما عَن خير وَلَا أمرتكما بشر وتسلكا السَّبِيل الَّتِي نهجتها وتمتثلا الْحَال الَّتِي مثلتها.

.....

يعني الذي يوجب عليكما الاستماع الى هذه الوصية كون هذه الوصية نصيحة أب، والواجب لا شك أنه يكون واجباً بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، لكن يَتَأكد الوجوب اذا صدر هذا الأمر الواجب ممن يجب سماعُ أمره، فيكون هذا الواجب مؤكداً أكثر، كأمر الحاكم للرعية بشيء أو نهيهم عن شيء مما يكون من شؤون الشريعة هذا يؤدك الواجب ويؤكد التحريم الذي جاء عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فضلاً عن الأُمور الأخرى التي تتعلق بالدنيا، فكذلك أمر الوالد لولده اذا كان أمره بفعل شيء من الواجبات فهو مؤكد للواجب الذي جاء في أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فيكون العصيان في هذا الواجب أشد من العصيان في الأمر المُجرد فكأنه صار العصيان مرتين عصياناً لأمر الله سُبْحَانَهُ

وَتَعالى، وعصياناً لأمر الوالد، فهذا أقل ما يوجب عليهما أن يُصيخا أي يستمعا الى وصيته.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

واعلما أننا أهل بَيت لم يخل بِفضل الله مَا انْتهى إِلَيْنَا مِنْهُ من صَلَاح وَتَدين وعفاف وتصاون فَكَانَ بَنو أَيُّوب بن وَارِث عَفا الله عَنَّا وعنهم أَجْمَعِينَ جدنا سعد ثمَّ كَانَ بَنو سعد سُلَيْمَان وَخلف وَعبد الرَّحْمَن وَأحمد، وَكَانَ أوفر الصّلاح والتدين والتورع والتعبد فِي جدكم خلف كَانَ مَعَ جاهه وحاله واتساع دُنْيَاهُ منقبضا عَنْهَا متقللا مِنْهَا ثمَّ أقبل على الْعِبَادَة وَالِاعْتِكَاف إِلَى أَن توفّي رَحمَه الله، ثمَّ كَانَ بَنو خلف عماكما عَليّ وَعمر وأبوكما سُلَيْمَان وعماكما مُحَمَّد وَإِبْرَاهِيم فَلم يكن فِي أعمامكما إِلَّا مَشْهُور بِالْحَجِّ وَالْجِهَاد وَالصَّلَاح والعفاف حَتَّى توفّي مِنْهُم على ذَلِك عَفا الله عَنَّا وعنهم، وكأنني لَاحق بهم وَوَارد عَلَيْهِم وَيصير الْأَمر إِلَيْكُمَا فَلَا تأخذا غير سبيلهم وَلَا ترضيا غير أَحْوَالهم فَإِن استطعتما الزِّيَادَة فلأنفسكما تمهدان وَلها تبنيان وَإِلَّا فَلَا تقصرا عَن حَالهم.

.....

هذا تذكيرٌ جميلٌ لطيف بحال هذه الأسرة الطيبة، فذكر أولاً بني أيوب بن وارث؛ وأيوب هو جد والده رَحِمه الله، فكان فيهم سعد وهو من أهل الصلاح، وكان من أهل العلم، ثم ذكر بنيه وهم أعمام المُصنف وأبوه عليهم أجمعين رحمة الله تعالى، وكانوا أهل صلاحٍ وخير، ثم ذكر حاله وحال إخوته رحم الله الجميع، ثم ذكر بعد ذلك أنه ينبغي

عليكما أن تسلكا ما كُنا نسلكه، فقد سلكت ما سلك أعمامي وإخوتي، وكذلك سلك والدي وأعمامي ما كان عليه والدهم، فاسلكوا هذا السبيل وانتهجا هذا النهج وسيرا على هذا الطريق الذي سرنا كلنا عليه، ثم ذكر رحمه الله أنه لاحق بمن مات منهم عليهم رحمة الله، وأنه عما قريب سيوافيه الأجل، وأنه يُأمل أن يرى صلاح أولاده قبل أن تخترمه المنية، فهذا مما تقر به العين وتسعد، أن يرى العبد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد جعل له بشارة في حياته فرأى صلاح أولاده، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد ساق إليه هذا الرزق العظيم من صلاح الولد، فهذا مما يرغب فيه بلا شك، ومما يجب أن يدعو الإنسان لولده به؛ أن يكونوا من الصالحين، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يتولاني وإياكم برحته ومنته وأن يجعلنا من عباده الصالحين إنه سُبْحَانَهُ وَتَعالى جوادٌ كريم.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَأول مَا أوصيكما بِهِ مَا أوصى بِهِ إِبْرَاهِيم بنيه وَيَعْقُوب {يَا بني إِن الله اصْطفى لكم الدّين فَلَا تموتن إِلَّا وَأَنْتُم مُسلمُونَ} الْبَقَرَة (١٣٢) وأنهاكما عَمَّا نهى عَنهُ لُقْمَان ابْنه وَهُوَ يعظه {يَا بني لَا تشرك بِاللَّهِ إِن الشّرك لظلم عَظِيم} لُقْمَان (١٣).

.....

قد بدأ رحمه الله وصيته بعد أن ذكر في مطلعها شيئاً من التذكير، وبيان حرصه على إصلاح ولده، وإشفاقه على أن يكون أحد أولاده قد زل الطريق، وحاد عن المقصد الذي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لعباده، مع جميل الدعاء والبراءة الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى

من حوله وقوته، فإنه لا يغني عنهم شيئاً ولذلك كانت هذه الوصية جاءت بعبارات لطيفات صادقات والعلم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى نحسب المصنف في ذلك والله حسيبه أنه كان صادقاً فيها حريصاً على إصلاح أولاده.

كانت وصية إبراهيم وهو أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو الذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم محمداً أن يكون مُتبعاً لما عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام من توحيد الله تبارك وتعالى، ومن تأمل في حال هذا الرسول الكريم والنبي الجليل عليه الصلاة والسلام، عرف ما كان عليه من حرصه على عبادة الله تبارك وتعالى، والبراءة من كل ما يُعبد من دول الله عز وجل، وتعظيم هذا الشأن، والصدق فيه، والخوف والوجل من أن يكون ممن قد ابتلاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بالبعد عن هذا الصراط المستقيم، فكان يدعو: «وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ [١]» فكان حريصاً على توحيد الله تبارك وتعالى، ولاقى في ذلك الأذى والضرر، ولم يَجِد مع ذلك عن هذا الأصل العظيم الذي هو توحيد الله عز وجل، وعلى ما كان عليه ربى بنيه إسماعيل وإسحاق عليهما صلوات الله تبارك وتعالى، وأكرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بما صبر وثبت عليه من توحيد الله عز وجل وإجلاله وتوقيره بأن أصلح له بنيه، بل جعل ابنيه من الأنبياء إكراماً وإجلالاً له لما قام في قلبه من توحيد الله تبارك وتعالى، فهي كرامة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى له، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً من أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى

---

(١) - إبراهيم (٣٥).

يُكرم العبد، فيكون من إكرامه للعبد الصادق أنه يعطيه من صلاح حال الولد، وإن كان قد يكون أيضاً في بعض الأحيان ابتلاءً له في أن يبعد هذا الولد عن الصلاح كحال نبي الله ورسوله نوح عليه الصلاة والسلام، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أكرم إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنيه إسماعيل وإسحاق، وزاده إكراماً يعقوب بن إسحاق، وزاده إكراماً بيوسف وإخوته، ومن جاء بعدهم من الأنبياء والرسل وهذا كله إكراماً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لهذا النبي الجليل أن جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في ذريته الأنبياء والرسل، فمن تعظيم هذا النبي الكريم لربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى -وهو حال أهل الإيمان عموماً- أن تكون الوصية للولد وأولها بتوحيد الله تبارك وتعالى، وهذه الوصية قد ثبتت ونبتت حتى كانت في يعقوب عليه الصلاة والسلام، فكانت وصيتهما معاً: «وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ [١]» «وَيَعْقُوبُ» هكذا بالرفع على أحد القراءات المتواترة، فكانت وصية يعقوب مثل وصية جده إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وعلى القراءة الأُخرى: «وَيَعْقُوبَ» هكذا بالنصب؛ أي أن إبراهيم وصى بنيه ووصى يعقوب بهذه الوصية العظيمة، وعلى هذا قيل إن يعقوب قد أدرك جده إبراهيم، وقيل أنه لم يُدركه، صلوات الله وسلامه عليهم والله أعلم.

---

(١) - البقرة: (١٣٢).

وتأمَّل في هذه الوصية، وهذا التَّذكير: «يَا بَنِيَّ»؛ فخاطبهم بالبنوَّة، وهو من الترغيب الذي ينبغي أن يحرص عليه الوالد، فيذكره بما بينه وبين هذا الولد من الفضل لكن بأسلوب لطيف، «إِنَّ اللهَّ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ» أي انتقاه واختار لكم هذا الدين دون غيره من الأديان، فأرجع الفضل الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فذكرهم بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عليهم ومِنَّته سُبْحَانَهُ وَتَعالى عليهم بأن اختار لهم هذا الدين، «فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ» فنهاهم عن كل ما يضاد ما اختاره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لهم من توحيده وإفراده بالإيمان والاسلام والعلم الصالح، وتأمل كيف أن هذه الوصية قد جاء ربط الموت في هذه الوصية وأن الإنسان يجب أن يكون حرصه على البقاء على توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الى أن يفارق هذه الحياة، ولذلك انظر في وصية المصنف رحمه الله كيف كان يربط بين اقتراب الأجل والتذكير به وبين شروعه بهذه الوصية وما جاء في تفاصيلها حيث ابتدأها بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى والتحذير من الشرك بالله عز وجل، ونهاهما عَمَّا نهى عَنهُ لُقْمَان ابْنه وَهُوَ يعظه: «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهَّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [١]» وهذه وصية عظيمة من هذا النبي الكريم فنهاه عن الشرك بالله عز وجل، والشرك هو: صرف شيءٍ من خصائص الله لغير الله.

---

(١) - لقمان: (١٣).

والظلم عند العبد يكون على ثلاثة أنحاء:

- ظلم بين العبد وبين ربه –ولا نقول ظلم العبد ربه- بل نقول ظلم بين العبد وربه؛ وهو الشرك بالله عز وجل.

- ظلم بين العبد ونفسه؛ وهو فعلفه من المعاصي والذنوب والبدع.

- ظلم بين العبد وبين الناس؛ وهو تجبره عليهم، وغمط حقوقهم ونحو ذلك من الأفعال.

فهذه ثلاثة أنواع من أنواع الظلم التي يقع فيها العبد، وتأمل كيف وصف لقمان عليه السلام الشرك بأنه ظلم عظيم، فنبَّه على أنه ظلم، ونبَّه على أنه ظلمٌ عظيم، بل هو أعظم الظلم الذي لا يضاهيه ظلم، ولا يعلوه ظلم، الذي قال فيه ربنا تبارك وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا [١]».

---

(١) - النساء: (٤٨).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وأؤكد عَلَيْكُمَا فِي ذَلِك وصيتي وأكررها حرصا على تعلقكما وتمسككما بِهَذَا الدّين الَّذِي تفضل الله تَعَالَى علينا بِهِ.

.....

تأمَّل في هذه اللطائف، وهذه العبارات، اختارها رَحِمه الله اختياراً، وانتقاها انتقاءً دقيقاً، وجعلها مُؤكدة، لأن هذا هو الأصل الذي بعث الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به الأنبياء الرسل، ألا وهو توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وإفراده عز وجل بالعبادة، وأن لا يُعبد إلا الله، وأن يُفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بكل خصائصه، وأن لا يُصرف شيء من خصائص الله عز وجل لغير الله تبارك وتعالى.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

فَلَا يستزلكما عَنهُ شَيْء من أُمُور الدُّنْيَا وابذلا دونه أرواحكما فَكيف بدنياكما.

.....

العبد قد يعرض له شيء من أُمور الدنيا فقد يكون ذلك سبباً لصرفه عن عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، بل لصرفه عن توحيد الله تبارك وتعالى –والعياذ بالله عز وجل– وهذا كثيرٌ وعظيم، يحصل عند كثيرٍ من الناس، لذلك نَبَّه عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي

كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا [١]» كثير من الناس قد لا يتصوَّر أن الفتن خطافة، وأن الفتن قد تكون سبباً للزيغ والانحراف، بل قد تكون سبباً للمروق من دين الله –والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى– وكثير من الناس يتهاون ولا يلتفت الى ما يُنكَت في قلبه من النُّكَت التي يجعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى كالرَّان على القلب الذي اذا استحكم وغطَّى فلا ترى هذا القلب يُنكر مُنكراً، ولا يعرفُ معروفاً «إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ [٢]» كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فالحذر من ذلك عظيم، والوصية التي وصى بها بنيه رَحِمه الله وصية عظيمة، فلا بد من أن يلتفت القلب الى هذا الشأن العظيم، وهذا هو من جعل الإيمان يَقَرُ في قلب الأبناء، وزرعه في قلب الأبناء، فتذكيرهم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هو الذي يجب أن يُوحَّد، ويجب أن يُعبد وحده لا شريك له، وأنه لا شيء أعظم من الله، ولا شيء أكبر من الله، وأن لا شيء حقيقٌ بأن يُعبد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فتذكير العبد ولده بهذا الأصل العظيم هو من جعل الإيمان يُزرع في قلب الأبناء، ولذلك كان السلف عليهم رحمة الله تعالى يحرصون على

---

(١) – أخرجه: مسلم (١١٨)، وأبو داود (٤٢٥٩)، والترمذي (٢١٩٥)، وابن ماجه (٣٩٦١). واللفظ لمسلم.

(٢) – أخرجه: مسلم (١٤٤): قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»

هذا الأصل العظيم منذُ أن يبدأ الولد بتعلم النُّطق، كما أخرج عبد الرَّزاق، وابن أبي شيبة عن إبراهيم التيمي قال: «كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَوَّلَ مَا يُفْصِحُ أَنْ يُعَلِّمُوهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمَ بِهِ [١]» فكان السلف حريصون عليه، وجاء في مُصنَّف ابن أبي شيبة: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، يُعَلِّمُ وَلَدَهُ، يَقُولُ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ [٢]» وقبل ذلك المعلم الأول لهذه الأُمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ [٣]» وصية بتوحيد الله عز وجل، وإفراده سُبْحَانَهُ وَتَعالى بالعبودية، واللجأ الى الله، والبراءة من كل حول ومن كل قوة إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وأن يجعل العبد في ذلك رغبته ورهبته الى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والتجائه الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، هكذا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يزرع ذلك في نفوس الصبية والصغار والغلمان من الصحابة رَضِيَ

---

(١) – أخرجه: عبد الرَّزاق في: «المُصنَّف» (٧٩٧٧)، وابن أبي شيبة في: «المُصنَّف» (٣٥٠٠).

(٢) – أخرجه: ابن أبي شيبة (٣٤٩٩).

(٣) – أخرجه: الترمذي (٢٥١٦)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، والطبراني في: «الأوسط» (٥٤١٧). وقال الترمذي: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

اللهُ عَنْهُم، ونبَّه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن هذا الزرع الذي يُزرع في الصغر يكون له أثر في الكبر، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ [١]» فكل مولود يولد على الفطرة التي فطر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الناس عليها وهي توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فهي فطرة في النفوس، لكن الأبوين هُما من يكونان سبباً في أن يكون هذا الولد مُنحرفاً عن توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وعن إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بالعبادة، وقد أخرج البخاري عن عمرو بن ميمون قَالَ: كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمَانَ الكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلاَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ [٢]» تعليم للغلام أن يلجأ الى الله منذُ صغيره، وأن يعرف أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هو الذي يُربيه بالنعم، فيتربى منذُ نعومة أظفاره على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هو الذي يكفيه، ويحميه، ويكفيه الشرور، ويتعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هو الذي بيده هذه الأرواح، وهو الذي بيده الأعمار، يقبض الإنسان اذا شاء بوقت، ويبقيه الى وقت، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعالى هو الذي يزيغ القلوب إن شاء، وهو الذي يحفظ القلوب إن شاء أن

---

(١) - أخرجه: البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) - أخرجه: البخاري (٢٨٢٢).

يحفظها سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وكذلك تذكير بما يكون من الجزاء في الآخرة، وما يكون بعد مفارقة الدنيا من الحساب.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

فَإِنَّهُ لَا ينفع خير بعده الخلود فِي النَّار وَلَا يضر ضير بعده الخلود فِي الْجنَّة {وَمن يبتغ غير الْإِسْلَام دينا فَلَنْ يقبل مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَة من الخاسرين} آل عمرَان (٨٥).

.....

نبَّه رَحِمه الله تعالى على ما ذكرناه من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: «إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ» وكل خيرٍ يناله العبد في هذه الدنيا فهو لا شيء اذا كان نهاية العبد خلود في نار جهنم، وكل مكروهٍ ينال العبد في هذه الحياة الدنيا فإنه لا شيء اذا كان نهاية العبد خلود في جنة الخلد، فالحرص على الدنيا شرُّهُ عظيم، ويجب أن يعلم الأولاد، وأن يربَّوا على عدم الحرص على الدنيا، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ [١]» فكثير من الناس هذا حاله، يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا، فترى أنه في صناعات وأعمال الدنيا، وفيما يحتاج إليه من الدنيا ماهراً في ذلك، حريصاً عليه، ويبذل وقته وجهده وماله وصحته في أن يتعلم كثيراً من شؤون هذه الدنيا، لكن إن جاء الى شأن الآخرة فهو خالٍ منها، وقليل من يحرص على أن يكون له نصيب من الآخرة، فكيف بمن يزرع في أولاده الحرص

---

(١) – الروم (٧).

على الآخرة فهو أقل من القليل، فكثير من الناس يعرض على نفسه أن ولدي قد فعلت وفعلت معه ومع ذلك ما رأيت منه استجابة، فأنت قد أمرك الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بأن تبذل الواجب الذي جعله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في عنقك، فابذل ما أمرك الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به، من النصح والتذكير بالله، وتعليم التوحيد للأبناء، والإيمان بالله عز وجل، والعمل الصالح، فتزرع ذلك في ولدك وتحرص على تعليمهم وعلى تنشأتهم نشأةً صالحة، وعلى رعايتهم، ولا يكون وجود شيء من التقصير سبباً في ترك التوجيه والنصيحة والتذكير أبداً، فاذا كنت أنت مأمور ببذل النصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مع من ليس لك به صلة من جهة الرحم، فكيف بمن هو من أصلك ومن صُلبك، والذي إليك يُنسب، وليس له نسبٌ إلا إليك، فكيف يكون حالك معه؟ حتى ولو رأيت من الولد نوع من الانحراف والاعوجاج عن الجادة وعن الصواب، فلا يجعلك هذا الأمر تترك الاستمرار في بذل النصيحة مع الصدق والحرص والدعاء وبذل ما سبقت الإشارة إليه من اظهار هذه النصيحة في قالب المحبة والحرص، وكذلك ما سيأتي ذكره وتكراره في ثنايا كلام المُصنِّف رَحِمه الله، فإن دعوة الوالد لولده مُستجابة لا شك في ذلك، جاء به حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كما مر معنا.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

فَإِن متُّما على هَذَا الدّين الَّذِي اصطفاه الله وَاخْتَارَهُ وَحرم مَا سواهُ فأرجو أَن نَلْتَقِي حَيْثُ لَا نَخَاف فرقة وَلَا نتوقع إِزَالَة، وَيعلم الله تَعَالَى شوقي إِلَى ذَلِك وحرصي عَلَيْهِ.

.....

وهذا الرجاء فيه فائدة عظيمة يحتاج إليها المُربي والمعلم والأب والأُم، وتذكيرك لولدك بما بينك وبينه من المحبة، فالولد له تعلق بوالديه، بل الغالب والأكثر مهما حصل من الأب والأُم من الخلل والتقصير في حق الأبناء تجد أن الابن له نوع تعلق بوالده ووالدته، فكلن يخاف ويخشى أن يحصل فراق ليس بعده لقاء، وهذا هو الفراق الذي يكون في الآخرة فليس بعده اجتماع إلا ما شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من أن يكون من بعض أهل المعاصي ما يكون سبباً لتنقيتهم من الذنوب والخطايا، فالتذكير بأنه ثَمَّ لقاء ليس بعده فراق بين الوالد وولده في جنة الخلد فهذا من أساليب النصح التي يستغلها استغلال الوالد لمحبة ولده، فهذا سبب عظيم من أسباب إصلاح الولد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فأنت تحتاج الى أن تذكر ولدك بأنك تحبني وأنك لا ترغب في فراقي، كما أنني أحبك ولا أرغف في فراقك، وأنك غالٍ عندي فنحتاج الى أن نلتقي ونجتمع وأن يكون ذلك بلا فراق، فاستغلال هذا الجانب ثماره عظيمة وأثره عظيم بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وهنالك يا إخوة حاجات عند الأبناء ومن أغفل استغلال هذه الحاجات يوشك أن يضل الطريق إلا أن يشاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فالابن له حاجة

الى أسرته وهذا جانب عظيم يحتاج الإنسان الى أن يستغله، والابن له حاجة الى عطف والده ووالدته فيحتاج الوالد والوالدة أن يستغلا هذا الجانب، فحاجة الابن الى الأُسرة يستغلها المربي من جهة أن هذا الابن مهما حصل له من تقصير فمآله ورجوعه الى هذا الحضن الذي لا يستطيع أن يفارقه، فلذلك الدخول من هذا المدخل شأنه وثمرته عظيمة، وبالتالي التذكير بأن هذه الأُسرة لها سلوك معين إيماني، ولها تربية معينة إيمانية، كذلك أن هذه الأسرة في اجتماعها له أثر في حياته وفي هذا جوانب ينبغي استغلالها في نصح الولد، كذلك حاجة الولد الى والده والدته له أثر في التربية ولا يعدم الإنسان أن يحصل منه نوع تقصير في ذلك لكن لا يستطيع أن يستغني عن والده وعن والدته فهذا من أساليب التربية التي تكون لها ثمار عظيمة بإذن الله.

وكذلك من المسائل التي يشار إليها في مثل هذا الموضع هي ما يتعلق بتربية الولد من جهة المنع والحرمان، فهذا مما يحتاج الوالد أن يلتفت إليه؛ لكن بشرط أن يكون حرمان بمحبة لا منعاً لإظهار نوع من الغلظة أو عدم الشفقة على هذا الابن.

فتكلم رَحِمه الله بعبارات تخاطب الأبناء في جانب الحاجة التي يحتاج إليها الابن من والده، وما يجمع بين الابن ووالده.

فإياك أن تظهر منك النصيحة لولدك دون إظهار المحبة والشفقة، نعم قد يحتاج الإنسان أحياناً الى نوع من الغلظة أو القسوة ولكن لا يعني ذلك بحال أن هذه الغلظة أو القسوة لا تخالطها محبة، فمع القسوة والغلظة يذكر محبته لولده فترى الأب أو الأُم

تعاقب ولدها وتقول له ما عاقبتك إلا محبةً لك، وما منعتك إلا محبة لك وإشفاقاً عليك، وحرصاً عليك لأجل أن لا يصيبك بعد ذلك شيء من أثر هذا العمل السيء الذي قد يصدر منك.

وهنا نُذَكِّر بمسألة قد يغفل عنها بعض الناس: وهي أن تتذكَّر أو إن شئت أن تستحضر بعض ما كان يحصل بينك وبين والديك من المعاملة ثُم تنظر فيما يحصل الآن بينك وبين ولدك إن كان لك ولد أو أكرمك الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بولدٍ لاحقاً فترى أحياناً نوع من القسوة، وتسمع أحياناً بعض الإخوة يقول: والدي يقسو علي لأجل تديني، وأنا أقول والله ما قسى عليك بعضاً في التَّديُّن بل قسى عليك محبةً وخوفاً عليك، لأنه يرى كثير من الناس تتخطفهم فتن من فتن الإرهاب، والانحراف عن الجادة، والغلو، ونحو ذلك، فهو يخشى عليك، ولولا خوفه عليك لما كلمك في هذا الأمر أو نهاك عن أمرٍ مُعين، مع أن هذا الأمر لا يخالف شريعة الاسلام، ولكن لعله لقلة علمه أو إدراكه له من جانبٍ معين، فلا تأتي فتقول: والدي يحارب التَّديُّن! معاذ الله، أن تبدأ في إلقاء التُّهم جزافاً في مثل ذلك، بل يجب عليك أن تراعي في ذلك أنه لعله قد حصل منه شيء من الشفقة عليك وأراد بك خيراً.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

كَمَا يعلم إشفاقي من أَن تزل بأحدكما قدم أَو تعدل بِهِ فتْنَة فَيحل عَلَيْهِ من سخط الله تَعَالَى مَا يحله دَار الْبَوَار.

.....

ذكر لهما إشفاقه، وخوفه عليهما من الفتن فيحل عليهما من سخط الله ما يُرديهما في دار البوار وهي جهنم، وسُميت بدار البوار لأنها ليس فيها زرع، وليس فيها شيء من مظاهر الحياة.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَيُوجب لَهُ الخلود فِي النَّار، فَلَا يلتقي مَعَ الْمُؤمنِينَ من سلفه وَلَا يَنْفَعهُ الصالحون من آبَائِهِ يَوْم لَا يُغني {وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ} لقمان (٣٣).

.....

ختم بهذا مقدمته، فذكرهما بأنه إن افترقنا فصلاحي إن كان فلا ينفعكما، ولا يكون صلاحي سبباً في نجاتكما يوم القيامة، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يجنبني وإياكم الفتن والشرور.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وتنقسم وصيتي لَكمَا قسمَيْنِ:

فقسم فِيمَا يلْزم من أَمر الشَّرِيعَة، أبين لَكمَا مِنْهُ مَا يجب مَعْرفَته، وَيكون فِيهِ تَنْبِيه على مَا بعده،

وَقسم فِيمَا يجب أَن تَكُونَا عَلَيْهِ فِي أَمر دنياكما، وتجريان عَلَيْهِ بَيْنكُمَا.

.....

القسمان لا شك أنهما داخلان تحت عموم أوامر الشريعة، وعادة الفقهاء أنهم يفرقون بين العبادات والمعاملات، مع أن الكل عبادات، ولكن للتسمية والاصطلاح، فتكون العبادات تتعلق بالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. ويجعلون ما سوى ذلك من المعاملات، وبعض أهل العلم يصنف بعض أنواع المعاملات ضمن العبادات، والمصنف رحمه الله تعالى ذكر جملة من الأُمور المتعلقة فيما يجب على الإنسان أن يكون بينه وبين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى من الأعمال، والواجبات، والفرائض، ثم ذكر بعد ذلك بعض ما يتعلق بين العبد وبين الخلق، وكذلك ما يتعلق بمكارم الأخلاق ونحو ذلك، فقسَّم وصيته الى هذين القسمين.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

فَأَما الْقسم الأول: فالإيمان بِاللَّهِ عز وَجل، وَمَلَائِكَته، وَكتبه، وَرُسُله، والتصديق بشرائعه؛ فَإِنَّهُ لَا ينفع مَعَ الْإِخْلَال بِشَيْء من ذَلِك عمل.

.....

هذا أوَّل ما أوصى به رَحِمه الله وسبق في كلامه أنه قال: «وَأول مَا أوصيكما بِهِ مَا أوصى بِهِ إِبْرَاهِيم بنيه وَيَعْقُوب» فذكر توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى والتمسك بهذا الدين، وهذه وصية غالية بلا شك، والعبد دائماً اذا أراد الإصلاح فإنه لا بُد أن يبدأ في جوانب الإصلاح حتى في الجانب التربوي الذي يرغب فيه الوالد في إصلاح ولده، فأول ما يبدأ به: ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بالبدء به. والقاعدة الشرعية: «ما قدمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُقدَّم، وما أخَّره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يُؤخَّر» ولذلك ثبت في الصحيحين في حديث إرسال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم معاذاً الى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى [١]» وفي لفظ: «إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ [٢]» فكان أوَّل ما أمر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هو توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فقدَّمه على غيره، ومنه تعلم أن كل ما قُدم من الشريعة يُقدَّم، وكل ما أُخِّر يؤخَّر، ونبَّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على هذا الأصل كما جاء

---

(١) - أخرجه: البخاري (٧٣٧٢).

(٢) - أخرجه: مسلم (١٩).

في حديث جابر رَضِي اللهُ عَنْهُ في صفة حج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وفيه قال: لَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: {إِنَّ الصَّفَا والـمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ[١]} «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا[٢]. وكذلك في جميع أبواب الإصلاح.

وترى كثيراً من الجماعات المنتسبة الى الاسلام وهي ضالة، منحرفة، زائغة، لَمَّا بدأت بغير ما بدأ الله به، وبغير ما بدأ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كانت دعوتهم الى خسار والى ضياع، فتأمل في حال الجماعات السياسية التي تزعم أنها تدعو الى الإصلاح و بدأت وانطلقت من الجانب السياسي، ولم تبدأ من الجانب الشرعي الإيماني.

ولذلك كل من سلك طريقاً يريد به الإصلاح ولم يلتزم طريق وهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في ذلك فلا يمكن أن يوفَّق في دعوته، ولا ينظر الإنسان الى ذلك نظرة عامة سطحية، بل ينظر الى هذه القضايا بما يتفرع عنها من الأمور.

فمن أراد الإصلاح في ذريته فليبدأ من حيث بدأ الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أي بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وإفراده عز وجل بالعبادة، والإيمان، ولذلك قال ابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما: «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن [٣]» فأول ما يبدأ به الإنسان هو هذا الأصل العظيم.

---

(١) – البقرة: (١٥٨).

(٢) – أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٣) – أخرجه: الحاكم في: «المُستدرك» (١٠١)، والطحاوي في: «شرح مُشكل الآثار» (١٤٥٣) والبيهقي في: «الكُبرى» (٥٢٩٠). وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ=

واذا علمت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ما خلقك إلا لأجل أن تعبده، فكل ما تقدمه على هذا الأصل لا يصح أن يُقدَّم، ولا ينبغي أن يُقدَّم، فاذا علمت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى خلق ابنك لأجل أن يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وحده لا شريك له، ما خلقه للدنيا، فيجب عليك أن تفهمه، وأن تعلمه أنه مخلوق لأجل هذه الغاية لينشأ على هذا الأصل منذ نعومة اظفاره، وقد مر معنا بعض الأثار عن السلف وأنهم كانوا يستحبون أن يلقنوا الأولاد كلمة التوحيد منذ تعلمهم الكلام، فهذا أوَّل ما يجب على الإنسان أن يتعلمه ويعتني به من مسائل الشريعة.

وهُنا مسائل تتعلق بما ذكره المصنف رَحِمه الله تعالى، فقد أشار الى أركان الإيمان وإن كان لم يذكر القدر، وأركان الإيمان هي أصل الاعتقاد، وأصل ذلك كله: الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وهذا كله يُسمى علم العقيدة، وهو مأخوذ من عقد الشيء اذا أوثقه الإنسان فيقال: عَقَدَه. فالعقيدة: عقد القلب على ما جاءت به الشريعة من الغيبيات، والمسائل التي يجب أن يؤمن بها الإنسان، على تفاصيل بين أهل العلم، فبعضهم يُعرِّف

=يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي. ولفظه: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحْدَثَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ» ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ». وأخرجه: ابن ماجه (٦١): عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا».

علم العقيدة بتعريفات مُطَوَّلة فيذكر تحت ذلك كثير من الأصول، ونحن قلنا أن علم العقيدة مأخوذ من أركان الإيمان، وانضافت إليه مسائل أُخَر بعضها كانت شعاراً لأهل البدع والضلال وأضافوها الى مسائل العقيدة، ولذلك ترى بعض أهل العلم يذكر مسألة المسح على الخفين ضمن مسائل الاعتقاد لوجود من خالف في ذلك كالخوارج، والرافضة، وغيره.

- واعلم أن تعليم العقيدة للصبيان فيه ثمرات، ومنا:

- أن الناشئة يتعلمون أن هذا هو أساس الدين:

وأول ما يُهتمُّ به لقوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (١)» فتعليمهم ذلك فيه ترسيخ لأساس هذا الدين، ولما خلقوا له، وهو ترسيخ للفطرة التي فطر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عليها كل مولود، كما مر معنا قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ».

- وأن تعليم الناشئة العقيدة فيه تعظيم لحق الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى:

وتعظيم لله عز وجل، وتوقيره، وتبجيله في أنفسهم، فيُنمي فيهم مراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وبذلك يخف على الوالدين عبئٌ عظيم في تربية الناشئة وخوصاً بعد البلوغ، لأنهم اذا ربوا على تعظيم الله وتوقيره وتبجيله، فهذا يزرع في قلوبهم أن في مخالفة ذلك مخالفة لأمر الله، وأن بفعلهم لما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به يؤدُّن حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى،

---

(١) - الذاريات: (٥٦).

فتعظم في أنفسهم محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فيؤدُّن العمل الصالح قُربة الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ويعظم في نفوسهم اذا خلى أحدهم بنفسه أن يفعل المُنكر، فيراقب الله فيما بينه وبين نفسه، ويستشعر أن الله مطَّلعٌ عليه، لا تخفى عليه خافية، فهذا مما يعين الوالدين في تربية الأولاد، ويُسهل عليهم، وسُبْحَان الله كثير من يعاني من هذا الجانب، فتراه يشقى بعد البلوغ فيعاني ويقاسي حتى يصلح أولاده.

- ولا شك أن كل والد، وكل والدة يريدون أن يعش أولادهم أفضل المعيشة وأطيبها:

وطيب العيش يحصل بالإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والعمل بما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به، قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١]» وقد يقول قائل: هذا غير مُكلَّف؟ فنقول: صدوره من غير المُكلَّف على نحو ما يصدر من المُكلَّف فهذا بلا شك من توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وتسديده، وهو أحرى بأن يحيا بطيب العيش، وأن يقر بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى معه. ومما يؤكِّد هذا أيضاً: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ[٢]» فهنالك أمن في الدنيا، وهنالك أمن في الآخرة، وهداية دنيوية، وهداية أُخروية تحصل حتى للناشئة، ولو قبل البلوغ،

---

(١) - النحل: (٩٧).

(٢) - الأنعام: (٨٢).

لذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكر منهم: «وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ[١]».

وأن ترسيخ العقيدة والإيمان يُرسخ في نفوس الناشئة الاهتمام في معالي الأمور، وترك سفسافها ووضيعها، فالذي يتعلق قلبه بالله ليس كالذي يتعلق قلبه بالبشر، والذي تراه منشغل بطاعة الله ليس كالذي أعرض عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والله عز وجل يجزي الإحسان بالإحسان ولو صدر هذا الإحسان من غير مُكلَّف، واذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فرَّق بين المُحسن والمُسيء من أهل الكفر، على ما عندهم من الكفر وعدم قبول أعمالهم فلأن تكون التفرقة بين من يعمل صالحاً ومن لا يعمل شيئاً من غير المكلفين من باب الأَوْلى، فإن عُلِّم أن يعمل صالحاً وهو صبي فإن الله يجزي الإحسان بالإحسان، فهذا لا بُد أيضاً أن يُسْتحْضر .

- ومما يُذكر أيضاً تحت ثمرات تعلم العقيدة والإيمان: الحفظ من الفتن والزيغ:

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر عن حال الخوارج فقال: «حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ[٢]» حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ؛ أي صغار في السن، فَهُم أقرب الى تخطف أنفسهم من أهل الزيغ والضلال والفتن، يتخطفونهم ويحتوونهم ويلبسوا عليهم دينهم، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر بذلك، وكما كان الإنسان أحدث في السن بلا شك أنه يكون أقل

(١) - أخرجه: البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) - أخرجه: البخاري (٥٠٥٧).

إدراكاً للمسائل العظام والكبار، فيصور له الشر في صورة الخير، فيتبع أهل الشُبَه والضلال، ولذلك ترى اليوم كثير ممن انحرف، بل غالب من انحرف حدثاء في السن، فكثير منهم لعله لم يبلغ العشرين من عمره، أو جاوز ذلك بيسير، فهي الفئة المستهدفة، لذلك لَمَّا ربَّت الجماعاتُ الضالة تتربَّص بالناشئةَ، فيحتوونهم منذ نعومة أظفارهم ويختارونهم اختياراً ليكونوا وقوداً لفتنتهم. لكن اذا تربى الإنسان من صغره على أن هنالك حق وهنالك باطل، وهنالك صواب وهنالك خطأ، وهنالك طاعة لله وهنالك معصية لله، وهنالك أمور أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بها، وهنالك أمور نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عنها.

وهنالك فتن قد تتخطَّف الإنسان وهو يظن أنه مُحْسِن، كما قال تعالى: «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا[1]» فهو يظن في نفسه أنه مُحسن، لكن في حقيقة الأمر هو مُسيء، لذلك ترسيخ العقيدة الصحيحة من الصغر فيه أمان من الفتن والزيغ.

المسائل التي يذكرها المُصنِّف نتكلم عن المعنى العام فيها وإلا فالكلام في تفاصيلها يطول.

---

(١) – الكهف: (١٠٤).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

والتمسك بِكِتَاب الله تَعَالَى جَدُّه، والمثابرة على تحفظه وتلاوته، والمواظبة على التفكر فِي مَعَانِيه وآياته، والامتثال لأوامره، والانتهاء عَن نواهيه وزواجره.

.....

ذكر وصية عظيمة مُلحقة بما سبق، «جَدُّه»؛ أي منزلته وقدره سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

أن يتعلم الناشئة منذ الصغر عظم شأن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وأنه من أعظم أسباب الهداية والصلاح، وأن يُعلَّموا أن القرآن كلام الله، تكلَّم سُبْحَانَهُ وَتَعالى به حقيقة كما هي عقيدة أهل السنة، ولا شك أن هذا يُعظِّم شأن القرآن في نفوسهم، ولا شك أن صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بالغة في العظمة والجمال والجلال، ومن صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعالى صفة الكلام، ومما تكلم سُبْحَانَهُ وَتَعالى به كتابه القرآن، فيجعل في قلب العبد رهبة، وتعظيم لهذا الكلام الذي يوجد بين يديه، ومثل ذلك يُنقل الى الناشئة ويُعلَّموا ذلك، ويُربَّوا عليه، والناشئة قد يكون عندهم نوع من التقصير في إدراك معاني الكتاب ومسائله، والتفاصيل التي تدخل تحت حلاله وحرامه، لكن يُعلَّمون من ذلك ما يكون لهم بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى معيناً، وأولاً على الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وكذلك يكون معيناً على فهم الكتاب إجمالاً، فهذا فيه نفع عظيم بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى للناشئة، والحرص على أن يحفظ الناشئة كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مطلوب ومُرغَّب فيه بلا شك، لكن لا يكون ذلك على نحو فيه استهانة بكتاب الله سُبْحَانَهُ

وَتَعالى، لذلك جاء عن بعض السلف النهي عن توسُّع الصبيان في حفظ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ليس من باب الترغيب عن حفظ كتاب الله، ولكن من باب حفظ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وأن يُحفظ وأن يُكْرَم هذا القرآن، لأن كثير من الناس ترى أنه يحفظ كتاب الله ولا يُسقط منه حرفاً ومع ذلك لا يُربَّى على العمل بهذا القرآن، وعلى تَدَبُّر آياته، فمن هنا جاء كلام السلف عليهم رحمة الله تعالى لأجل أن لا يُستخف بكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

قال تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ[1]» فهذا القرآن يُحفظ، ومطلوب أن يُحفظ في الصدور، وهو الكتاب الوحيد الذي توارثه الناس حفظاً منذ أن أُنزل، وتعلم وتُربِّي ولدك على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ما أنزل آية في كتابه عبثاً، فكل آية وكل حرف في القرآن أنت مُخاطب به، فلا تظن أن ذكر حال اليهود مع البقرة كان عبثاً بل لأجل أن تتعظ به وتعمل بمُقتضى ذلك.

---

(١) – العنكبوت: (٤٩).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: تركت فِيكُم مَا إِن تمسكتم بِهِ لن تضلوا بعدِي: كتاب الله تَعَالَى، وسنتي، عضوا عَلَيْهَا بالنواجذ.

.....

حث الأولاد على التمسك بكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

وقديماً قيل: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

ونقول: إن من أراد الخير لنفسه، ولذريته فلا شك أنه سيبادر الى تعليمهم ما هو أنفع لهم في آخرتهم، وكذلك ما هو أنفع لهم في دنياهم. وتأمَّل في حال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين جاءته البشارة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي [1]»؛ يقول العلامة السعدي رَحِمه الله: فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته، لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضا من إمامته، ونصحه لعباد الله، ومحبته أن يكثر فيهم المرشدون، فلله عظمة هذه الهمم العالية، والمقامات السامية [2].

---

(١) – البقرة: (١٢٤).

(٢) – انظر: «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي رَحِمه الله (١/ ٦٥).

كذلك تأمَّل حين بنى إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة، قال الله تعالى: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [١]»؛ تربية إيمانية منذ الصِّغر على توحيد الله، وعلى تعظيم شعائر الله، وعلى التَّعب في ذلك، وكان الدعاء بعد ذلك: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ودائماً ما يكون حال المُصلح خصوصاً في ذُرِّيَّته، وولده السعي في زرع هذه القِيَم، ومن ذلك ما ذكرناه من تعليم إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالعمل، فيزرع في نفس ولده تعظيم شعائر الله، فيُعظم الولد شعائر الله، ومن ذلك تعظيم كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وتعظيم سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فينبغي عليه أن يزرع ذلك في ولده ليعرف قيمة هذا الزرع اذا شب بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

---

(١) – البقرة: (١٢٧).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَقد نصح لنا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَكَانَ بِالـمُؤْمِنِينَ رحِيما، وَعَلَيْهِم مشفقا، وَلَهُم ناصحا، فاعملا بوصيته واقبلا من نصحه، وأثبتا فِي أنفسكما الْمحبَّة لَهُ وَالرِّضَا بِمَا جَاءَ بِهِ، والاقتداء بسنته، والانقياد لَهُ وَالطَّاعَة لحكمه، والحرص على معرفَة سنته وسلوك سَبيله، فَإِن محبته تقود إِلَى الْخَيْر، وتنجي من الهلكة وَالشَّر.

.....

أشار الى طاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ومحبته، والعمل بوصيته ونصيحته.

ومن صور التربية الفاضلة التي تُقصد: أن يكون خطاب المُربي والمعلم للمُعَلَّم أو للولد خطاب جمع للمتكلم والمستمع، قال: «ونصح لنا» ولم يقل ونصح لكم، وهذه من الأمور التي تُراعى في النصيحة فلها أثر عظيم، ومُراعاة مثل هذه الألفاظ في المواضع التي ينبغي أن تستعمل، وينبغي أن يعتنى بها هي من أسباب قبول المنصوح أو المستمع للنصيحة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فلا يشعر بأن الأمر خاص به وكأنه قد شذ عن الصواب، بل يشعر بأن الكل معني بهذا الأمر.

وهذه من الصفات التي سبق وأن تكلمنا عليها عدَّة مرات؛ أن يُراعى في جانب النُّصح الشفقة، والرحمة، والرَّئفة، وإشعار المنصوح بأن الناصح غير مترفِّع، وغير متعالٍ عليه في نصيحته.

ومما ينبغي على الوالد والوالدة أن يكونا حريصين على زرع العقيدة الصحيحة في قلوب الأولاد، فإن هذا دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن العقيدة الصحيحة التي تُزرع: محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وتعظيمه، وتوقيره، فيُراعى ما يستخدمه ويستعمله الولد منذ الصِّغر من الألفاظ والعبارات في حق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيكون فيها توقير وتعظيم، ولا شك من باب الأَولى اذا كانت تلك العبارات تُستخدم في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وإن حصل خطأ من الولد في استعمال بعض الألفاظ والعبارات التي لا تليق بالله عز وجل، أو برسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فيجب أن تلتفت الى التَّربية في هذا الجانب.

ومن صور تعليم الأنبياء للعقيدة: يعقوب عليه الصلاة والسلام حين حضرته الوفاة، قال تعالى: «أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ[1]» حتى قبل مفارقة الروح للجسد كان حريصاً على التربية، وقريب من هذه العناية ما جاء عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد أن طُعِن: دَخَلَ عليه شَابٌّ عَلَى عُمَرَ، فَجَعَلَ الشَّابُّ يُثْنِي عَلَيْهِ، فَرَآهُ عُمَرُ يَجُرُّ إِزَارَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَتْقَى

(١) - البقرة: (١٣٣).

لِرَبِّكَ، وَأَنْقَى لِثَوْبِكَ»، فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ: يَا عَجَبًا لِعُمَرَ، إِنْ رَأَى حَقَّ اللهِ عَلَيْهِ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مَا هُوَ فِيهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ [١].

وكذلك من صور النصيحة والتربية من الأنبياء ما جاء عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لما حضرته الوفاة ذَكَّرَ أُمته جناب التوحيد فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم موصياً أُمَّته: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا [٢]».

وكذلك ما جاء عن لُقمان عليه السلام: «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» فهي تربية على تعظيم أمر الله، وتعظيم شريعة الله وعقيدة الاسلام الصحيحة.

ومما ينبغي على الوالدين: القراءة وتعليم الأولاد سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فيربونهم على التعرف على سيرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وتعلُّم هديه، وخصوصاً في مثل هذه الأوقات التي كثرت فيها المُلهيات والصَّوارف عن تعلم الأمور الشرعية، ولا شك أن الحمل يزيد على الوالدين في مثل هذه الأوقات والأحوال مع كثرة الصَّوارف والمُلهيات، لكن على الوالد والوالدة اختيار ما يكون من ذلك صالحاً للحال، فينتقي مثلاً من سيرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وينتقي من أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ويُعلِّم بين الفينة والأُخرى، ويُراعي في ذلك حالهم فالصبي يحتاج الى أن يلهو ويلعب، والبنت كذلك، لكن لا يُخليهم من تعليمهم

---

(١) - أخرجه: ابن أبي شيبة في: «المُصنَّف» (٢٤٨١٥).

(٢) - أخرجه: البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

ما يحتاجون إليه من أمور الشريعة، ويتفطَّن القلب لما تعرف أن بعض الصبيان بل حتى بعض الشُّبان قد لا يعرف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلا أشياء يسيرة جداً جداً، وبعضهم قد لا يعرف ما هو اسم والد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أو اسم أُمه، بل قد سمعنا من ذلك بعض القصص ما تتفطر منه القلوب، من جهل كثير من الناشئة بسيرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فيعتني الوالدان بهذه القضية عناية شديدة، وكيف يُعظِّم الولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو لا يعرف عنه شيء؟ هذا يصعب، فعلى الوالدين اختيار بعض القصص من سيرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وكذلك بعض القصص من سيرة الصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم كما سيأتي.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وأشربا قُلُوبكُمَا محبَّة أَصْحَابه أَجْمَعِينَ، وتفضيل الْأَئِمَّة مِنْهُم الطاهرين: أبي بكر، وَعمر، وَعُثْمَان، وَعلي، رَضِي الله عَنْهُم، ونفعنا بمحبتهم، وألزما أنفسكما حسن التَّأْوِيل لما شجر بَينهم، واعتقاد الْجَمِيل فِيمَا نقل عَنْهُم، فقد رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: لَا تسبوا أَصْحَابِي فوالذي نَفسِي بِيَدِهِ لَو أنْفق أحدكُم مثل أحد ذَهَبا مَا بلغ مد أحدكُم وَلَا نصيفه. فَمن لَا يبلغ نصيف مده مثل أحد ذَهَبا فَكيف يوازن فَضله أَو يدْرك شأوه [1] وَلَيْسَ مِنْهُم رَضِي الله عَنْهُم إِلَّا من أنْفق الْكثير.

.....

ذكر رَحِمه الله لأولاده شأن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وتعليم الصبية فضل الصحابة ومكانتهم، والشريعة جاءت بذكر فضل الصحابة في آياتٍ كثيرةٍ، وفي مواضع مُختلفة، يُثني الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ويُبين فضلهم ومكانتهم في آياتٍ تُتلى حتى يُرفع هذا الكتاب، وابقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ثناءه على أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لكي يتوارث الناس ويبقى في الناس فضلهم وعلو شأنهم رَضِي اللهُ عَنْهُم، شاهدوا التنزيل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وحضروه، وتعلموا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وكانوا

---

(١) - الشَّأْوُ: الشَّوْطُ، والمسافة، كما جاء في صحيح البخاري «٢٨٢٤» من حديث أبي قتادة رَضِي اللهُ عَنْهُ وفيه: «فَطَلَبْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرَقِّعُ فَرَسِي شَأْوًا وَأَسِيرُ شَأْوًا».

خير تلاميذ لخير مُعلم، فأحسن تعليمهم، وأحسنوا تعلُّمهم، بل تسابقوا في ذلك، وبذلوا أرواحهم في سبيل الله عز وجل، وصان الله بهم الشريعة، وحفظ بهم الدين، ولولا أن جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سبباً لوصول هذه الشريعة لما وصلتنا نقية صافية، فقد بذلوا في ذلك الأرواح والأوقات والأعمار، والصحة والعافية، في سبيل أن يبقى هذا الدين ويصل إلينا كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأبو هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ كان يجالس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على ملئ بطنه، فيجوع اليوم واليومان وهو مُلازم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يسمع ويحفظ حديثه.

فيُربى الأولاد على حب الصحابة ومعرفة مكانتهم وفضلهم، فلا تُخلي أولادك من القراءة في سيرة الصحابة، وتعريفهم بذلك، وتُعرِّفهم بالخلفاء الراشدين: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وكذلك العشر المُبشرين بالجنة، ونحو ذلك.

فكثير من الأولاد اليوم يعرف المُمَثلين، واللاعبين، ونحوهم، وإن تسأله عن الخلفاء الأربعة يخبرك عنهم بعد تفكير؟ نسأل الله السلامة والعافية.

وفي قوله رَحِمه الله: «وألزما أنفسكما حسن التَّأْوِيل لما شجر بَينهم...» وهذه القضية من صميم عقيدة أهل السنة؛ فمن عقيدة أهل السنة: السكوت عما شجر بين الصحابة، وعدم الخوض في مثالبهم، ولا يذكرون الصحابة إلا بالجميل والحسن، دون انتقاص، فإن لهم منزلة عند ربهم، بل إن غير واحد من أهل العلم قال أصحاب رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كلهم في الجنة، وقال تعالى: «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ» فتأمل كيف جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الصحابة ميزاناً ومقياساً يُقاس عليه إيمان الناس وإسلام الناس وهديهم واتِّباعهم، فاذا كان الصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم ميزاناً توزن به الأعمال لمعرفة صوابها وخطئها، فيجب أن يُربى الأولاد على تعظيم أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

ثمَّ تَفْضِيل التَّابِعين وَمن بعدهمْ من الْأَئِمَّة وَالْعُلَمَاء رَحِمهم الله، والتعظيم لحقهم، والاقتداء بهم وَالْأَخْذ بهديهم، والاقتفاء لآثارهم، والتحفظ لأقوالهم، واعتقاد إصابتهم.

.....

تدرج رحمه الله في وصيته حتى وصل الى ذكر توقير التابعين والعلماء.

توقير أهل العلم وتعظيمهم لا بد أن يُغرس في نفوس الأولاد، فإن الولد لا بُد وأن يُنشَّأ على معرفة أن ثَمَّ خواب وخطأ، وثَمَّ دعاة هداية ودعاة ضلالة، ودعاة خيرٍ ودعاة شر، فيكون عنده نوع فُرقان من صغره، ويُربى على هذا منذ الصِّغر، فيُعرَّف اسماء العلماء ومنزلتهم، كما سبقت الإشارة الى أن يُعرَّف على أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ويعرَّف حق العلماء وفضلهم على هذه الأُمة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد أخبر أن لهم منزلة ليست كسائر الناس، قال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: «يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [١]» ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قد أخبر أن العلماء ورثة الأنبياء، قال: «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ [٢]» فيجب أن يُغرس هذا الأمر في نفوس الأولاد، ويُؤكَّد على هذا، حتى ولو لم ير الأب أن ابنه قد أفلح في العلم الشرعي، فبعض الناس يظن أن القضية ترتبط بما لو كان الولد طالب علم وهذا خطأ، فهو يحتاج الى النجاة في كل حال، ولعله يوفق ولو بعد حين الى طلب العلم، ومن غُرس فيه محبة السنة وعلمائها منذ الصغير فإنه يوشك أن يُراجع ولو بعد حين، فاجعل هذا غرساً تغرسه في نفوس الأبناء، واحرص على أن يكون هذا الغرس في نفوس البنات أيضاً، وتُربيهن على ذلك، ولو رأى بعداً عن التمسك بالشريعة عند أولاده، وسبق الكلام على ما يتعلق بالمعاملة مع الأولاد في حال ضعف التمسك بالشريعة، أسأل الله أن يصلح أولادنا وأولادكم.

وقوله رَحِمه الله: «واعتقاد إصابتهم» الإطلاق هكذا فيه نظر، إلا أن يكون مراد المصنف رَحِمه الله؛ أن ذلك يكون هو الأغلب، فالأغلب عند عامة العلماء الإصابة، وصوابهم أكثر، لكن أن يعتقد أنهم يصيبون ولا يُخطئون فلا أظن المصنف أراد هذا والعلم عند الله تعالى.

---

(١) - المُجادلة: (١١).

(٢) - أخرجه: أبو داود (٣٦٤١).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإقام الصَّلَاة، فَإِنَّهَا عَمُود الدّين، وعماد الشَّرِيعَة، وآكد فَرَائض الْمِلَّة، فِي مُرَاعَاة طَهَارَتهَا، ومراقبة أَوْقَاتهَا، وإتمام قرَاءَتهَا، وإكمال ركوعها وسجودها، واستدامة الْخُشُوع فِيهَا، والإقبال عَلَيْهَا، وَغير ذَلِك من أَحْكَامهَا وآدابها فِي الْجَمَاعَات والمساجد، فَإِن ذَلِك شعار الْمُؤمنِينَ، وَسنَن الصَّالِحِين، وسبيل الْمُتَّقِينَ.

.....

الحث على الصلاة على الخصوص هو من أهم ما ينبغي الحرص عليه، اذا استشعر الإنسان أن من كان للصلاة أضيع فهو لما سواها أضيع، كان لا بد له أن يحرص على غرس هذا الأمر في أولاده، فلا ترتجي صلاحاً لأولادك اذا لم تنشئه على محبة الصلاة وتعظيم شأنها، إلا أن يشاء الله بلا شك، لكن اليوم أنت تحتاج أن تختار اللبنة التي تبني عليها، وتبدأ في إنشاء هذا الولد منها، وأعظم اللبنات بعد غرس الإيمان والتربية عليه أن يُربى الولد منذ الصغر على محبة الصلاة وأدائها، تارةً بالترغيب، وتارةً بالترهيب، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ[1]» وهذا لا يعني بحال أن الأولاد لا يُرهَّبون على ترك الصلاة بغير الضرب وهم دون العاشرة، ومن أعظم الأخطاء التي قد تحصل من الآباء والأُمهات: أنهم لا يشاركون أولادهم في هذه الشعيرة العظيمة وهي الصلاة،

(١) - أخرجه: أبو داود (٤٩٥).

وخصوصاً الأُمهات، فلا بد من مشاركة الأولاد في الصلاة، مثلاً؛ الأب يأخذ ولده معه الى المسجد اذا كان يعقل الصلاة، والأُم تنادي بناتها ليصلين معها وكذلك الذكور، فالقدوة من أعظم ما يكون سبباً لإصلاح الولد، فلا يراك الولد على حال وأنت تدعو الى حالٍ آخر.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

ثمَّ أَدَاء زَكَاة المَال، لَا تُؤخر عَن وَقتهَا، وَلَا يبخل بكثيرها، وَلَا يغْفل عَن يسيرها، ولتخرج من أطيب جنس، وبأوفى وزن، فَإِن الله تَعَالَى أكْرم الكرماء، وأحق من اختير لَهُ، ولتعط بِطيب نفس، وتيقن أَنَّهَا بركَة فِي المَال وتطهير لَهُ، وتدفع إِلَى مستقحها دون مُحَابَاة وَلَا مُتَابعَة هوى وَلَا هوادة. ثمَّ صِيَام رَمَضَان، فَإِنَّهُ عبَادَة السِّرّ، وَطَاعَة الرب، وَيجب أَن يُزَاد فِيهِ من حفظ اللِّسَان، وَالِاجْتِهَاد فِي صَالح الْعَمَل، والتحفظ من الْخَطَأ والزلل، ويراعى فِي ذَلِك لياليه وأيامه، وَيتبع صِيَامه قِيَامه، وَقد سنّ فِيهِ الِاعْتِكَاف. ثمَّ الْحَج إِلَى بَيت الله الْحَرَام من اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا، فَهُوَ فرض وَاجِب، وَقد رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: الْحَج المبرور لَيْسَ لَهُ جَزَاء عِنْد الله إِلَّا الْجنَّة.

.....

فيُعرَّف الزكاة، ويُعرَّف الصوم، كان الصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم، والتابعون، يعلمون أبنائهم ويصوِّمونهم، ومع التربية على الصوم لا بد من أمر مهم وهو: أن يغرس فيهم ما أشار إليه المُصنف حيث قال: «فَإِنَّهُ عبَادَة السِّرّ» فقد ترى بعد الأولاد في زاوية ما

يأخذ شيء من الماء أو العصير، فيُعرَّف أنها عبادة سر، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مُطلع عليه اذا كان أبوه لا يطلع عليه.

وذكر الحج، وكل هذه الأشياء هي أركان الاسلام، فلا بُد أن يُعرَّف عليها الأولاد وتُزرع فيهم، وكلنا يحفظ منذ الصغر حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ [١]» فتزرع هذا مع زرع بعض المعاني المُهمَّة لفهم هذا الحديث، والعلم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

---

(١) - أخرجه: البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

ثمَّ الْجِهَاد فِي سَبِيل الله، إِن كَانَت بكما قدرَة عَلَيْهِ، أَو عون من يَسْتَطِيع إِن ضعفتما عَنهُ.

فَهَذِهِ عمد فَرَائض الْإِسْلَام، وأركان الْإِيمَان، حَافِظًا عَلَيْهَا، وسابقا إِلَيْهَا، تحوزا الْخَيْر الْعَظِيم، وتفوزا بِالْأَجْرِ الجسيم، وَلَا تضيعا حُقُوق الله فِيهَا، وأوامره بهَا، فتهلكا مَعَ الخاسرين، وتندما مَعَ المفرطين.

.....

كذلك التعريف بشأن الجهاد ومنزلته في دين الاسلام هذا يحتاجه الأولاد، ويُعرَّفون بأن هذا الدين جاء بالتضحية حتى بالنفس في سبيل حفظ هذا الدين، وحفظ بلاد الاسلام منذُ الصغر، ويُعرَّفون الصواب والخطأ في ذلك، ويُؤخَّر مثل هذا التعليم الى الوقت الذي يعقلون فيه معنى الجهاد وأن فيه صواباً وخطأً، كما أن هنالك صواب وخطأ في كثير من العبادات التي يتقرَّب بها الإنسان لله عز وجل.

فالتربية على أعظم ما يكون في هذا الدين كأركان الاسلام، وأركان الإيمان لا بُد أن يكون هذا هَم الوالدين، فيُعرَّف على ما يعقله من أركان الاسلام والإيمان، فيُعرَّف تعريفاً إجمالياً، ويُبين له، ويُفهَّم مثلاً؛ أن هنالك ملائكة، وما الملائكة، ومما خُلقت الملائكة، وبعض وظائف الملائكة، وبعض اسمائهم، وكذلك الكُتب التي أنزلها الله

سُبْحَانَهُ وَتَعالى؛ وماذا أنزل الله على موسى، وعلى عيسى، وعلى داود، وعلى إبراهيم، وعلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم، لأن توسعة مداركه وفهمه هذا بلا شك له أثر في التربية، وما يتعلمه من الصغر غالباً ما يبقى معه بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

واعلما أنكما إِنَّمَا تصلان إِلَى أَدَاء هَذِه الْفَرَائِض، والإتيان بِمَا يلزمكما مِنْهَا مَعَ توفيق الله لَكمَا بِالْعلمِ الَّذِي هُوَ أصل الْخَيْر، وَبِه يتَوَصَّل إِلَى الْبر، فعليكما بِطَلَبِهِ فَإِنَّهُ غنى لطالبه، وَعز لحامله، وَهُوَ مَعَ هَذَا السَّبَب الْأَعْظَم إِلَى الْآخِرَة، بِهِ تجتنب الشُّبُهَات، وَتَصِح القربات، فكم من عَامل يبعده عمله من ربه وَيكْتب مَا يتَقَرَّب بِهِ من أكبر ذَنبه، قَالَ الله تَعَالَى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(١)}، وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ (٢)}، وَقَالَ تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٣)}.

.....

(١) – الكهف (١٠٣ – ١٠٤).

(٢) – الزمر (٩).

(٣) – فاطر (٢٨).

أوصى أولاده بطلب العلم الشرعي، ونبَّه على قضيتين مهمتين فقال: «واعلما أنكما إِنَّمَا تصلان إِلَى أَدَاء هَذِه الْفَرَائِض» فحصرها رَحِمه الله فقوله: «إِنَّمَا» هي من أدوات الحصر.

فالذي ذكره من أركان الاسلام وأركان الإيمان وعُمد الدين، تحتاج الى أمرين:

الأمر الأول: توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

الأمر الثاني: تَعَلُّم هذه الفرائض.

فبهذا يصل الإنسان الى أداء هذه الفرائض على الوجه الذي أمر به الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

والبِر: كما يقول أهل العلم؛ اسم جامع لكل خير.

والعلم غنى لمن طلبه، فإنه ميراث النبوة، فالناس ترث المال، وطالب العلم يرث علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، والمال يشرف بصاحبه شرفاً دنيوياً، أما العلم يشرف بصاحبه شرفاً دينياً ودنيوياً، وهذا الشرف الذي يناله طالب العلم هو من الموعود الذي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بالشرف لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، لذلك كل ما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى إلا ما استثني من الفضائل التي جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فإن من سواه يكون له من ذلك ما يكون راجعاً لاتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فإذا قيل أن هذه العبادة فيها كذا من الفضل لرسول الله صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّم فكل من عمل بها يكون له كذلك من الفضل والأجر لكن بحسب الحال والمقام ولا يساوي في ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

والانسان يحتاج الى أن يربي أولاده على ما يبعدهم عن الشبهات، والشبهات خطافة، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال عن الفتن: «وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ [1]» تسلب العقول والأذهان والأفهام، وقل من يسلم من تبعات الشبه، فالإنسان يُعرِّف أولاده أن ثَمَّ صواباً وخطأً وتكرار هذا على مسامعهم، وأن هنالك جماعة مسلمين، وأن هنالك جماعات حزبية، وأن جماعة المسلمين هي التي مع ولي الأمر، وكل ما سواها هي جماعات مخالفة لسبيل أهل الاسلام، ويُعرَّف أن هنالك علماء سنة، وهنالك علماء بدعة، فلا يجره علماء البدعة الى الشبهات والضلالة والفتنة والشر، ويُعرَّف أن هنالك أعمال يرضاها الله، وهنالك أعمال لا يرضاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فالعلم سلاح، ولذلك من الأمور النافعة للأولاد في باب التربية أن يُعلَّم الولد انتقاد الخطأ، وهذا نافع جداً، وليس المقصد أن يذهب الى صاحب الخطأ ويتكلم فربما لا يحسن ذلك، ولكن على الأقل ينتقد الخطأ ولو في نفسه ويعرف أن ذلك خطأ، والعلم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

وكثير من الناس لا يستشعر هذا الشرف وهذه الرُّتبة للعلم، لأنه ما خاض في غمار العلم، ولا دخل في خفاياه ومسائله ودقائقه، فيخفى عنه الشيء الكثير من فضل

---

(١) - أخرجه: البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

ومنزلة العلم الشرعي الذي قال فيه أهل العلم: لا شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

فهو أفضل ما يُقصد ويُطلب ويعمل به بعد الفرائض، وكم من الناس محروم من فضل الجلوس في مجالس العلم، والناس في حظهم من طلب العلم متفاوتون، منهم من مَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عليه فلازم حِلَق العلم، وعانا في ذلك، وحصل له شيء من المشقة والتعب، وضيق العيش، بل كان بعض سلف هذه الأُمة ينفق ماله ويبيع بعض أساسيات بيته لأجل طلب العلم، ولذلك كانوا يذكرون أن من علامات طالب العلم الفقر، لا فقر غلاة المتصوفة بل يقصدون انشغاله في طلب العلم، وانفاقه في سبيله، فترى الواحد منهم يسافر ويتعب في طلب العلم لأنهم عرفوا فضل هذا العلم، ونحن اليوم يستكثر أحدنا أن ينتقل من منزله الى مسجدٍ قريبٍ من بيته ليحضر مجلساً من مجالس العلم، وهو يعلم في نفسه أنه بحاجة للعلم، فكيف لمثل هذا أن يزرع في نفوس أولاده محبة العلم؟ لا شك أن الهداية والتوفيق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد يوفق الإنسان في وقتٍ يُحرم فيه غيره، وقد يوفق في وقت دون وقت، فتراه موفقاً في وقت محروماً في وقتٍ آخر، والحكمة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في ذلك كله، والانسان إنما يسعى في خلاص نفسه وعافيتها مما قد يُنتظر عند مفارقة هذه الحياة، لذلك ينبغي للعاقل أن يلزم نفسه ذلك، وأن يلزم ولده ذلك، ولذلك كان عبد الله بن داود يقول: نَوْلُ الرَّجُلِ

أَنْ يُكْرِهَ، وَلَدَهُ عَلَى طَلَبِ الْحَدِيثِ. وجاء ذلك أيضاً عن الثوري قال: ينبغي للرجل أن يُكره ولده على طلب الحديث فإنه مسؤول عنه.

فالذي لا يُكره نفسه على طلب الحديث لا يمكن أن يكره غيره، وليس المراد بالإكراه أن يجعله في صورةٍ لا يحتمل معها ولا يتقبل هذا العلم، بل لا بد أن يبقي في صدره إجلال هذا العلم ومحبته ومحبة أهله، جاء عن عكرمة قال: كان ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يضع الكبل على رجلي في مجلس العلم. فكان يُقيِّده حتى يلزمه ويجبره على طلب العلم، حتى صار عكرمة ومن هو عكرمة ونحن الى يومنا هذا نذكر عكرمة، وكان يذكر ذلك وهو سعيد به، فلا يذكره فقط من باب الحكايا بل ليتعظ غيره وليسمع غيره، وإبراهيم بن أدهم رَحِمه الله يقول: قَالَ لِي أَبِي: «يَا بُنَيَّ، اطْلُبِ الْحَدِيثَ، فَكُلَّمَا سَمِعْتَ حَدِيثًا، وَحَفِظْتَهُ، فَلَكَ دِرْهَمٌ فَطَلَبْتُ الْحَدِيثَ عَلَى هَذَا[1]»

فتارة بشيء من الشدة التي بها يُحفظ، وتارة بشيء من الترغيب الذي به يُحفظ أيضاً بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

ومما يكون به ترغيب الناشئة في طلب العلم: تعريفهم قدر مجالس العلم، ليس فقط قدر العلم، فليست كسائر المجالس، ولها آداباً، فإذا علم أن لمجالس العلم آداباً فلا بد أن يُعظم هذه المجالس لمجرد معرفته أن هذه المجالس لها آداب، فما بالك لو عرف

(١) – انظر: «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (١/ ٦٦).

ماهية هذه الآداب، وكذلك أن يُعرَّف أن هذه المجالس قد رغَّبت فيها الشريعة، وحضَّت عليها في أحاديث كثيرة منها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ [1]» وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة ي هذا المعنى، والتي تدل على فضل هذه المجالس، والتي لا ينبغي أن يُرْغَب عنها، ولذا كان بعض أهل العلم يتنقل في حِلَق ومجالس العلم الليل والنهار، بل كان بعضهم لا يجد من الوقت ليتذاكر مع معلمه إلا في وقت السحر، هذا الوقت الذي يغفل فيه الناس، وبعضهم كان يحضر عشرة مجالس، أو تسعة مجالس، أو ثمانية مجالس، في اليوم الواحد، والنووي رَحِمه الله كان يحضر بضعة عشر مجلساً في اليوم الواحد، ومات في عمر الشباب في مفهومنا، وألف هذه المؤلفات وهو لم يتجاوز الخامسة والأربعين، وهذا مثال، ومثله كثير، وإن من أئمة الحديث من صنَّف كُتباً لازالت بين أيدينا الى يومنا هذا وهو في بداية العشرين، وهذا توفيق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فيُعرَّف الإنسان أنه قد ينفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به الأُمة، فيحفظ على هذه الأُمة دينها، ويحفظ على هذه الأُمة أمنها بالعلم الشرعي الصحيح، وهذا أيضاً كثير وهو توفيق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

جاء في: «شرف أصحاب الحديث» عند الخطيب البغدادي بإسناده الى عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: وَقَفَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ قَدْ

(١) - أخرجه: مسلم (٢٧٠٠).

طَرَحْتُمْ هَذِهِ الْأُغَيْلِمَةَ؟ لَا تَفْعَلُوا، وَأَوْسِعُوا لَهُمْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَسْمِعُوهُمُ الْحَدِيثَ، وَأَفْهِمُوهُمْ إِيَّاهُ. فَإِنَّهُمْ صِغَارُ قَوْمٍ، أَوْشَكَ أَنْ يَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ وَقَدْ كُنْتُمْ صِغَارَ قَوْمٍ، فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ كِبَارُ قَوْمٍ» الْأُغَيْلِمَة؛ أي الغلمان. وجاء عن الْمُسَيب بْن وَاضِحٍ، أنه قال: كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، رَحِمَهُ اللهُ، إِذَا رَأَى صِبْيَانَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَفِي أَيْدِيهِمُ الْمَحَابِرُ، يُقَرِّبُهُمْ، وَيَقُولُ: هَؤُلَاءِ غَرْسُ الدِّينِ[1].

هكذا ينبغي أن يُربى الصغار وأن يُعلم الصغار، ويغرس فيهم؛ أنكم اليوم صغار ولكن قد تكونوا كبار قومكم في يومٍ من الأيام، ويُغرس فيهم أنه لعل أحدكم ينفع الله به يوم القيامة، وكذلك ينفع به في هذه الحياة الدنيا ما لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

---

(١) - «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (١/ ٦٥).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَقَالَ تَعَالَى: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ[1]} وَالْعلم سَبِيل لَا يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَّا إِلَى السَّعَادَة وَلَا يقصر بِهِ عَن دَرَجَة الرّفْعَة والكرامة.

قَلِيله ينفع وَكَثِيره يعلي وَيرْفَع كنز يزكو على كل حَال وَيكثر مَعَ الْإِنْفَاق وَلَا يغصبه غَاصِب وَلَا يخَاف عَلَيْهِ سَارِق وَلَا محَارب فاجتهدا فِي طلبه، واستعذبا التَّعَب فِي حفظه، والسهر فِي درسه، وَالنّصب الطَّوِيل فِي جمعه، وواظبا على تَقْيِيده وَرِوَايَته، ثمَّ انتقلا إِلَى فهمه ودرايته.

.....

كلما ازداد الإنسان من العلم ازداد رفعة بإذن الله عز وجل، «يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» فلازم ذلك ازدياد الرفعة الشرعية بازدياد العلم الشرعية، وهو كنز كلما انفقت منه يكثر ويزداد، فهذه معاني ينبغي أن تُغرس في نفوس الصغار منذ نعومة أظفارهم، وأُذكر بالاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في ذلك كله، والدعاء ثم الدعاء ثم الدعاء، فإن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قد أخبر أن دعوة الوالد لولده دعوة لا تُرَد. فينبغي أن يحرص عليها الآباء، وكذلك مما ينبغي أن يُحرص عليه أن يَرَوا حرص الآباء على العلم، ومحبتهم للعلم، فالذي ينبغي عليك هو أن تعمل بما

---

(١) - المجادلة (١١).

أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به، وقد يوافق ذلك توفيقاً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فترى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد كتب لك رفعة في أولادك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد أكرم إبراهيم عليه الصلاة والسلام بإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وكذلك ذُرية يعقوب، عليهم أجمعين صلوات الله وسلامه، فهذا إكرام من رب العالمين عليه أن جعل في ذريته النبوة، وهذا الذي ينبغي أن يعلمه العبد وأن يوقنه، لكن قد لا يعدم الإنسان لحكمة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أنه قد لا يكتب التوفيق والتسديد لبعض ولده، كما مر معنا في قصة نوح عليه السلام، ولكن الإنسان يسعى بما في وسعه من الأسباب والتوفيق من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وقد يكون أحياناً غياب التوفيق سببه ذنب قد ألم به الوالد، أو ألمت به الوالدة، ولا أضيع للعلم الشرعي من المعاصي والذنوب، وهذا في حق الوالد وفي حق الولد.

ولذلك قال ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ: «إِنِّى لَأَحْسَبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ بالمعصية يَعْمَلُهَا [١]»؛ فمعصية تذهب بكثير من العلم الشرعي، وجاء عن سُفيان، قال: حُرمتُ قيام الليل ستة أشهر لذنبٍ عملته.

---

(١) - أخرجه: الطَّبراني في: «الكبير» (٨٩٣٠)، وأبو نعيم في: «الحلية» (١/ ١٣١)، وابن عبد البر في: «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٢١).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وانظرا أَي حَالَة من أَحْوَال طَبَقَات النَّاس تختاران، ومنزلة أَي صنف مِنْهُم تؤثران، هَل تريان أحدا أرفع حَالا من الْعلمَاء؟ وَأفضل منزلَة من الْفُقَهَاء؟ يحْتَاج إِلَيْهِم الرئيس والمرؤوس، ويقتدي بهم الوضيع والنفيس يرجع إِلَى أَقْوَالهم فِي أُمُور الدُّنْيَا وأحكامها، وَصِحَّة عقودها وبياعاتها، وَغير ذَلِك من تصرفاتها، وإليهم يلجأ فِي أُمُور الدّين، وَمَا يلْزم من صَلَاة، وَزَكَاة، وَصِيَام، وحلال، وَحرَام، ثمَّ مَعَ ذَلِك السَّلامَة من التَّبعَات، والحظوة عِنْد جَمِيع الطَّبَقَات.

وَالْعلم ولَايَة لَا يعْزل عَنْهَا صَاحبهَا، وَلَا يعرى من جمَالهَا لَابسهَا، وكل ذِي ولَايَة وَإِن جلت، وَحُرْمَة وَإِن عظمت، إِذا خرج عَن ولَايَته أَو زَالَ عَن بلدته، أصبح من جاهه عَارِيا، وَمن حَاله عاطلا، غير صَاحب الْعلم فَإِن جاهه يَصْحَبهُ حَيْثُ سَار، ويتقدمه إِلَى جَمِيع الْآفَاق والأقطار، وَيبقى بعده فِي سَائِر الْأَعْصَار.

.....

أهل الدنيا طبقات، وأهل الآخرة طبقات في هذه الحياة الدنيا، ومما ينبغي أن يُغرس في نفوس الأوراد أن يعرفوا منزلة أهل العلم وفضلهم، وأن يعرفوا من هم أهل العلم، وخصوصاً في الأوقات التي يختلط فيها الصحيح بالفاسد، والصواب بالخطأ، والهداية بالضلال، والبر بالفجور، وغير ذلك، تختلط كثير من الأمور وتلتبس على كثير من الناس، ولا شك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى جعل من ذلك كله مخرجاً.

فنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ [١]» دلهم على سنته، ودلهم على سنة أهل العلم بعده وهم الخلفاء الراشدون رَضِي اللهُ عَنْهُم، وهكذا ينبغي للوالد أن يدل أولاده على أهل العلم والفضل، فيسميهم بأسمائهم، ويُعرِّفهم بمنزلتهم حتى يحصل عندهم ميز بين الباطل والحق، والصواب والخطأ، فإذا رأى دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، وقف ورجع، وقال ليسوا هؤلاء ممن علمني والدي أن اقتدي بهم وليسوا من أهل العلم.

قال حذيفة رَضِي اللهُ عَنْهُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا [٢]» فهم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا فلا بد أن

---

(١) - أخرجه: أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

(٢) - أخرجه: البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

يحصل هنالك شيء من الالتباس في معرفة حال هؤلاء، فلا بد من الدلالة على العلماء وأهل الفضل، ليكون ذلك سبيلاً للولد.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَأفضل الْعُلُوم علم الشَّرِيعَة، وَأفضل ذَلِك لمن وفْق أَن يجود قِرَاءَة الْقُرْآن، ويحفظ حَدِيث النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَيعرف صَحِيحه من سقيمه، ثمَّ يقْرَأ أصُول الْفِقْه فيتفقه فِي الْكتاب وَالسّنة، ثمَّ يقْرَأ كَلَام الْفُقَهَاء وَمَا نقل من الْمَسَائِل عَن الْعلمَاء، ويدرب فِي طرق النّظر وَتَصْحِيح الْأَدِلَّة والحجج، فَهَذِهِ الْغَايَة القصوى والدرجة الْعليا.

.....

لا زال المُصنف رَحِمه الله يُرغِّب في تعلّم علوم الشريعة، وانتقل في الكلام على ما يبدأ به المتعلم لعلوم الشريعة، وقد جاء تفسير قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (١)} عن غير واحد من أهل العلم: الرَّباني هو الذي يُربي الناس على صغار العلم قبل كباره.

وهذا منهج عظيم؛ أن يُبدأ بما هو أنسب لحال المُتلقي، فإذا كان المُتلقي غُلاماً صبياً فينظر الى ما هو أرفق وأنسب لحاله، وقد جاءت هذه الشريعة على تدرج في الأحكام، ولذلك قالت أُم المؤمنين عائشة رَضِي اللهُ عَنْها: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ

---

(١) – آل عمران: (٧٩).

الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا [1]» فجاءت هذه الشريعة بالتدرج؛ فترى أن فرض الصلاة تَدَرَّج الأمر فيه، وكذلك أمر الصيام تَدَرَّج الأمر فيه، وكذلك تحريم الخمر ...إلخ.

وكلما كان هنالك نوع من الإيمان الذي يقر في القلب جاءت الشريعة بما هو أنسب لتلك الحال، فتدرجت الشريعة في نزول أحكامها على ما يناسب حال الناس، ولذلك إذا أردت أن تعلم ما الذي يناسب تربية الصبيان فانظر فيما تدرجت فيه الشريعة، وكيف أنها جاءت أولاً بتعليم الناس أصول هذا الدين من التوحيد، والعقائد، ثم إيجاب الصلاة قبل هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على الأظهر من أقوال أهل العلم، والمُصنف رَحِمه الله يُشير وأهل العلم لهم في هذا الباب أقوال فترى أن هذا العالم يقدم علماً على الآخر، وترى عالماً آخر يُقدم علماً غيره، وهكذا كلن بحسب ما وصل إليه اجتهاده، ولذلك نقول دائماً لإخواننا من طلبة العلم، وكثيراً منهم يسأل بماذا أبدأ؟، وكيف أبدأ؟ فهذا العالم يقول أبدأ بكذا، وعالم آخر يقول أبدأ بكذا.. وكذلك يكون هنالك نوع من الاختلاف في ذكر المتون التي يُبدأ بها، والذي يجب أن لا يُختلف فيه؛ أن الإنسان لا يُقدم على تعلم العقيدة والتوحيد شيئاً آخر، ولا يُقدم على تعلم فروض الأعيان التي تختص به شيئاً آخر، هذا محل اتفاق بين أهل العلم، فالتوحيد والعقيدة

---

(١) - أخرجه: البخاري (٤٩٩٣).

الصحيحة أولاً، ثم ما تعين عليه من فروض؛ الطهارة والصلاة، والزكاة إن كان من أهلها، وإذا أراد أن يحج يتعلم أحكام الحج، واذا كان يعمل بالتجارة فيتعلم أحكام التجارة، وهكذا، وقد مر معنا حديث معاذ بن جبل رَضِي اللهُ عَنْهُ.

فالمصنف ذكر تلاوة القرآن وحفظه، وكذلك حفظ حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ وهما الأصلان اللذان لا يُستعاض عنهما بغيرهما، ولا يُتركان لغيرهما، فالمقصد من تعلم علوم الشريعة أن تفهم كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ليصح العمل ويكون مقبولاً عند الله بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وينبغي تريب الصبيان على ذلك، وينبغي أن يكون لهم نصيب من حفظ شيء من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وشيء من سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، مع تعريف يسير ببعض المعاني، والمُفردات بحسب حال كل واحد من الأولاد.

ثم ذكر تعلم الفقه، وأصول الفقه: فهل يُقدم تعلم الفقه على تعلم أصول الفقه، أم يُقدم تعلم أصول الفقه على تعلم الفقه؟ على اختلاف بين أهل العلم في كلامٍ كثير، فكلن منهم ينظر الى جانب من الجوانب التي لم ينظر إليها الآخر فمن نظر الى الفقه يقول: يكون عنده تصور للمسائل ثم بعد ذلك يبني ما تصوره من مسائل على أصولها. ومن قدم أصول الفقه قد يقول: بل يُقدم الأصول ثم بعد ذلك يبني عليها المسائل ويخرجها، فكلن له نظر، لكن لا ينبغي إغفال الأصل فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قدَّم التوحيد

والاعتقاد الصحيح قبل كل شيء، ثم ما وجب على العبد من فروض الأعيان، فهذه لا تُؤخَّر ولا يُقدَّم عليها غيرها.

ثم بعد ذلك لا حرج أن ينتقل الى تعلم أصول الفقه، وهذا لمن أراد أن تكون له ملكة في معرفة كلام الفقهاء وأسباب ترجيحهم، وما يتعلق بالخلاف بين الفقهاء والراجح من المرجوح ...إلخ، وكذلك من باب أوْلا بلا شك من أراد أن يصل الى رُتبة الاجتهاد.

وذكر رَحِمه الله قراءة كلام الفقهاء، وَمَا نقل من الْمَسَائِل عَن الْعلمَاء، ويدرب فِي طرق النّظر وَتَصْحِيح الْأَدِلَّة والحجج؛ النظر في خلاف الفقهاء مطلب مهم لكل طالب علم لا ينبغي إغفاله أبداً، لأن من لم يعرف خلاف الفقهاء لم يشم رائحة الفقه كما قال سفيان رَحِمه الله، فلا بد من معرفة الخلاف، وأسباب الخلاف بين الفقهاء.

وطرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج هذا كله يرجع الى علم أصول الفقه، وأصول التفسير، وأصول الحديث، واللغة ونحو ذلك من علوم الآلة. ثم قال رَحِمه الله: فَهَذِهِ الْغَايَة القصوى والدرجة الْعليا

.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَمن قصر عَن ذَلِك فليقرأ بعد تحفظ الْقُرْآن وَرِوَايَة الحَدِيث الْمَسَائِل على مَذْهَب مَالك رَحمَه الله، فَهِيَ إِذا انْفَرَدت أَنْفَع من سَائِر مَا يقْرَأ مُفردا فِي بَاب التفقه، وَإِنَّمَا خصصنا مَذْهَب مَالك رَحمَه الله لِأَنَّهُ إِمَام فِي الحَدِيث وَإِمَام فِي الرَّأْي، وَلَيْسَ لأحد من الْعلمَاء مِمَّن انبسط مذْهبه وَكَثُرت فِي الْمَسَائِل أجوبته دَرَجَة الْإِمَامَة فِي الْمُعْنيين، وَإِنَّمَا يُشَارِكهُ فِي كَثْرَة الْمَسَائِل وفروعها وَالْكَلَام على مَعَانِيهَا وأصولها أَبُو حنيفَة، وَالشَّافِعِيّ وَلَيْسَ لأَحَدهمَا إِمَامَة فِي الحَدِيث، وَلَا دَرَجَة متوسطة.

.....

فمن كان دون ذلك في الرُّتبة ممن لا يقصد تفهُّم الخلاف، ومعرفة أسبابه، والراجح من المرجوح، قال: فليقرأ بعد تحفظ الْقُرْآن وَرِوَايَة الحَدِيث الْمَسَائِل على مَذْهَب مَالك رَحمَه الله؛ فأراد أن من قصر عما سبق ذكره من الرتبة العليا فليلتزم مذهباً معيناً، وأبو الوليد الباجي رَحِمه الله مالكي المذهب، وقال هذا رَحِمه الله ميلاً الى مذهبه، وكل واحد من الفقهاء المنتسبين الى المذاهب يميل الى مذهبه في الغالب، ويرى أن القول فيه أرجح من غيره، وكلن يريد أن يتبع الناس أمامه، وله في ذلك تصورات كُثر، من ذلك مثلاً يقول أن مالك هو شيخ الشافعي، والشافعي شيخ أحمد، فإذا كان الشافعي وأحمد تلاميذ لمالك، فالأولى أن تأخذ عن شيخهما مثلاً وهذا نظر.

وهناك من يقول أن الشافعي رَحِمه الله أخذ عن مالك وعن غيره من شيوخ الحجاز علم الحديث، وأخذ عن أهل العراق علم الرأي فجمع بين علم الحديث والرأي، وخطأ أن يُقال أن الشافعي ليس إماماً في الحديث بل هو من أئمة الحديث، بل هو من أوائل من صنَّف فيه. وأما أبو حنيفة فهو من أئمة الرأي وقصر علمه في الحديث بإجماع أهل الحديث، والمصنف لم يذكر الإمام أحمد رَحِمه الله وهو بلا شك إمام في الحديث وإمام في الفقه رحم الله الجميع.

والحاصل أيها الأحبة أن الأئمة الأربعة عليهم أجمعين رحمة الله تعالى كلهم أئمة في الدين، ومن علماء الدين وفقهاء الاسلام، ولا ينبغي انتقاص أحد لأجل رفعة الآخر، ولكن كلن منهم يؤخذ من قوله ويُترك بحسب الدليل.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما وَقِرَاءَة شَيْء من الْمنطق وَكَلَام الفلاسفة، فَإِن ذَلِك مَبْنِيّ على الْكفْر والإلحاد، والبعد عَن الشَّرِيعَة والإبعاد، وأحذركما من قرَاءَتهَا مَا لم تقرآ من كَلَام الْعلمَاء مَا تقويان بِهِ على فهم فَسَاده، وَضعف شبهه وَقلة تَحْقِيقه، مَخَافَة أَن يسْبق إِلَى قلب أَحَدكُمَا مَا لَا يكون عِنْده من الْعلم مَا يقوى بِهِ على رده، وَلذَلِك أنكر جمَاعَة الْعلمَاء الْمُتَقَدِّمين والمتأخرين قِرَاءَة كَلَامهم لمن لم يكن من أهل الْمنزلَة والمعرفة بِهِ، خوفًا عَلَيْهِم مِمَّا خوفتكما مِنْهُ.

.....

بعد أن ذكر ما يُعتنى به، ذكر ضده مما يُحذرُ منهُ، والحَذَر يكون من كل ما يكون مبعداً عن كلام الله تبارك وتعالى، أو عن كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، أو لا يخدم في معرفة كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ولذلك القاعدة عند السلف رَحِمهم الله: «كل علمٍ لا يفيدك في معرفة الكتاب والسنة فليس من العلم الشرعي» قد يكون علم دنيوي لكن لا يدخل في العلم الشرعي الذي حضت عليه الشريعة وأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به، وأمر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

ولذلك اشتد نكير العلماء من السلف والخلف فيما يتعلق بقراءة كتب أهل الكلام، والتي منها كتب المنطق التي أشار إليها المُصنِّف، وهي كتب المنطق اليوناني الذي أدخل على الاسلام بعد أن تُرجمت كتب منطق وفلاسفة اليونان الى العربية وأُدخلت ضمن

الكتب التي دخلت بلاد الاسلام، وقيل أن أوَّل من أدخلها هو الخليفة المأمون، فدخلت هذه الكتب على الاسلام وكانت شراً عظيماً على الاسلام وأهله وسبباً في النزاع والخلاف والشقاق بين أهل الاسلام، بل حتى أن تُكفر بعض الفرق الفرق الأُخرى، وأهل العلم قد حذَّروا من كتب أهل الكلام عموماً، وكل علم يُنسب الى الشريعة لا يكون مستقى من كتاب الله، ومن سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فهو إما من الرأي أو من علم الكلام، ولذلك ينبغي على المربي أن يحرص على هذه القضية العظيمة ويغرسها في نفوس أولاده، وأن يحذرهم من الالتفات الى كل ما يكون صاداً ومانعاً عن تفهم كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وانظر في شدة نكير السلف عليهم رحمة الله تعالى على كتب أهل الكلام، ومن ذلك ما قاله الشافعي رَحِمه الله: من تعلم علم الكلام أول النهار تزندق في آخره. وكان يقول رَحِمه الله: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافُ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ [1].

وأين نبتت الفِرَق التي نَبَتت كالمُعتزلة، والجهمية وأضرابهم إلا من هذا المسلك الوعر الخطير، الذي ترتب عليه ما ترتب من المفاسد العظام والخلاف الشنيع بين أهل العلم، وكذلك الخلاف بين أهل الاسلام.

---

(١) – انظر: «الفتاوى الكبرى» لشيخ الاسلام (٦/ ٣٣٥).

ولذلك قال: فَإِن ذَلِك مَبْنِيّ على الْكفْر والإلحاد، والبعد عَن الشَّرِيعَة والإبعاد؛ وهو كذلك بلا شك.

لذلك أهل الكلام داخلون في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (١)} فكل من أعرض عن كتاب الله، وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا بُد وأن يُقبل على سواهما، وكلما عظمت منزلة القرآن، ومنزلة السنة، ضعفت في نفسه الرغبة الى ما سواهما من العلوم التي لا تخدم معرفة مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ومراد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

---

(١) – آل عمران: (٧).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَلَو كنت أعلم أنكما تبلغان منزلَة الميز والمعرفة، وَالْقُوَّة على النّظر والمقدرة، لحضضتكما على قِرَاءَته وأمرتكما بمطالعته، لتحققا ضعفه، وَضعف المعتقد لَهُ، وركاكة المغتر بِهِ، وَأَنه من أقبح المخاريق والتمويهات، ووجوه الْحِيَل والخزعبلات الَّتِي يغتر بهَا من لَا يعرفهَا، ويستعظمها من لَا يميزها.

.....

لأن من دخل في الشُّبَه لا بد وأن يناله شيء من شرها وضررها، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قد حذَّر من الفتن وقال: «من استشرف لها تستشرفه» وقال في الدجال: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ [1]» فعلى الإنسان أن يبعد نفسه عن الشبه، وعن مواطنها وعن كل ما قد يلقي في قلبه شيء من الشبه، ليسلم عليه دينه، ويسلم عليه فهمه لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ويحفظ على نفسه عبادته وطاعته لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وإنما تكون القراءة في أي كتاب من الكتب التي تعارض الكتاب والسنة سواء كانت الكتب التي توضع من أهل الفسوق، أو أهل الإلحاد، أو أهل الزندقة، أو أهل الضلال، أو أهل الفتن؛ إنما يكون ذلك لمن كان عنده من العلم الشرعية ما يحقق فيه

(١) - أخرجه: أبو داود (٤٣١٩). وصححه الألباني في: «صحيح أبي داود».

الفهم ويعرف فيه الفرق بين الحق والباطل، ولا بد للعبد من نصيب من معرفة الشر، لا ترغيباً في معرفته وإنما لأجل توقيه والتحذير منه.

فكتب أهل الضلال عموماً لا يقرأ فيها إلا من كانت عنده ملكة الميز بين الحق والباطل، والضلال والهدى، وبين الحجة الصحيحة الظاهرة والحجة غير الصحيحة والتي لا تقوى على مقاومة غيرها من الحجج الواضحة الظاهرة.

وأهل العلم يُحذِّرون من كتب أهل الضلال، ومن أهل الضلال أيضاً، وذلك لأجل السلامة في الدين، وهذا الذي يجب أن يُغرس في نفوس الأبناء والبنات، وخصوصاً مع انتشار سبل الاطلاع على المقالات الفاسدة في هذه الوسائل المنتشرة اليوم، وهي كثيرة جداً، يطلع فيها الطفل الصغير على أشياء لعل والده لما كان في سنه ما كان يخطر له ببال أن مثل هذه الأشياء قد تكون متاحة بين أيديهم، وعجلة هذا الزمن تجري وهي مُسرعة، ويحتاج الإنسان الى ما يستجد من السُّبل لمعرفة الباطل ومقالات أهل الباطل عند الصغار ليربي أولاده على البعد عن وسائل الشر وسبل الوصول الى الشر، ولو بتذكير، وتنبيه، وترغيب وترهيب، حتى يكون هذا ملازماً لهم كالملكة التي تكون للإنسان، ولا بد أن يراعى في مثل هذا الجانب أن يوجد الوالد أو الوالدة الوسائل الأُخرى التي تشغل الأولاد والصبيان عن الوقوع في براثم هذه الأشياء، واليوم الإنسان يطلع على أمور تقشعر منها الأبدان، حتى بين بعض صغار السن نسأل الله السلامة والعافية، والانسان يرجو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يسلمه

وأولاده مما يرى من أسباب الانحراف والفتن التي تنتشر في كثير من الأماكن والوسائل حتى في كثير من الأشياء التي تنتشر بين الصغار وكأنها صارت اليوم من الأمور الحتميات اللازمة! نسأل الله السلامة لنا ولكم.

وكثير من الناس يرى أن علم المنطق والكلام يجعله من المتقدمين في الفهم والعلم والمعرفة، وصد ابن تيمية رَحِمه الله حين قال عن علم الكلام: «لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّكِيُّ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ[1]».

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَلذَلِك إِذا حقق من يعلم عِنْد أحد مِنْهُم وجده عَارِيا من الْعلم، بَعيدا عَنهُ يَدعِي أَنه يكتم علمه وَإِنَّمَا يكتم جَهله، وَهُوَ ينم عَلَيْهِ ويروم أَن يَسْتَعِين بِهِ وَهُوَ يعين عَلَيْهِ.

.....

فهو معتمد على هذا العلم والحق أن هذا العلم سبب ضعفه لا سبب قوته.

---

(١) - انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الاسلام (٩/ ٨٢).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَقد رَأَيْت بِبَغْدَاد وَغَيرهَا من يَدعِي مِنْهُم هَذَا الشَّأْن مستحقرا مستهجنا مستضعفا لَا يناظره إِلَّا المبتدىء، وَكَفاك بِعلم صَاحبه فِي الدُّنْيَا مرموق مهجور، وَفِي الْآخِرَة مدحور مبثور، وَأما من يتعاطى ذَلِك من أهل بلدنا فَلَيْسَ عِنْده مِنْهُ إِلَّا اسْمه، وَلَا وصل إِلَيْهِ إِلَّا ذكره.

.....

مرموق: يعني ذليل، ومهجور: أي هجره الناس.

وعلم المنطق صنفت فيه كتب وجعلت على مستويات متفاوتة، وجعلوا بعض الطلبة يتدرج في علم المنطق، وفي بعض البلدان يلزمون الطلاب بحفظ المتون الموسعة في علم المنطق، وقد حدثني بعض شيوخنا من شرق آسيا أنهم كانوا يحفظون كتب موسعة بحروفها وألفاظها في علم المنطق، ولما أن هداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الى عقيدة أهل السنة وما عليه أهل السنة قال والله تحققت أن هذا العلم لا شيء وما استفدت منه شيء أبدا.

نعم في مواضع منه قد يكون كالرياضة للأذهان وهي مواضع يسيرة جداً، وتأمل في شقشقة الألفاظ عند أهل المنطق ترى مثلاً أنه في تعريف الكلمة يأتيك بقيود تعسِّر عليك الفهم والتعريفات والحدود وضعت لأجل أن تفهم ما المراد، لكن القيود التي وضعها أهل المنطق تُعسِّر الفهم، وابن تيمية رَحِمه الله له كلام في الرد على أهل المنطق في

باب الحدود أكثر من سبعة عشر وجه لإبطال ما يعتمد عليه أهل المنطق، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يُعرِّف أصحابه رَضِي اللهُ عَنْهُم بالمثال وأحياناً بالحال، وكان يعرِّفهم أحياناً بذكر أحد أفراد الشيء المحدود والمُعرَّف، وما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولا الصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم يلتزمون ما يلتزم به أهل المنطق، والصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم فهموا مراده وكانوا أعلم الناس بسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وما احتاجوا الى شيء من علم المنطق أو علم الكلام.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وعليكما بِالْأَمر بِالـمَعْرُوفِ وكونا من أَهله، وانهيا عَن المُنكر واجتنبا فعله.

.....

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ أصل عظيم في دين الاسلام وهو من أعظم شعائر هذا الدين، وإنما يحرص عليه القِلة ممن وفقهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والكثير قد ابتُلي بترك هذا الأصل العظيم إما رهبة من الخلق وخشية من العاقبة، أو للعجز والوهن والخور، والبعد عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وإنما ظهر من ظهر وكانت له المنزلة العلية من أئمة الاسلام بما بايع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عليه أصحابه رَضِي اللهُ عَنْهُم في أن لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهذا أمر لا بد وأن يُستشعر وأن يُعلم؛ من أراد رفعة الدنيا والآخرة فليلزم وصية

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم التي بايع عليها أصحابه كما في حديث عبادة بن الصامت رَضِي اللهُ عَنْهُ[١].

لكن يبقى هذا الأمر له أصل يرتكز عليه في منهاج أهل السنة والجماعة في الدعوى الى الله وهو النظر الى مصالحه ومفاسده؛ فأهل السنة ينظرون في المألات والعواقب وينظرون فيما يترتب على الأمر والنهي والفعل من العاقبة، فإن ترجَّحت العاقبة الحميدة قدَّموا ذلك، وإن ترجَّحت العاقبة السيئة أخَّروا ذلك، ولكن لا يُعطلون دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وهذا ما أراد المُصنف رَحِمه الله أن يغرسه في نفوس ولديه؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطفل يُعوَّد على هذا منذ الصغر، فإذا رأى الخطأ يُنكره، وإذا رأى الصواب يستحسنه، وهو من الأمور المهمة في تربية الأولاد حتى يبتعدوا عن أسباب الغواية والضلال إذا بلغوا مبلغ الرجال، أو حتى قبل ذلك، واليوم كما نسمع الحوادث الكثيرة في القضايا كالمخدرات، وأشياء كثيرة جداً، فالطفل اذا زُرع فيه هذا الأصل، وغرس فيه غرساً صحيحاً يكون هذا من أعظم الأسباب لإبعاد الانحراف والضلال عنهم بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، لأنه اذا رأى الخطأ ابتعد، واذا رأى الصواب اقترب، وكذلك قد يكونوا سبباً في إصلاح غيرهم.

---

(١) - أخرجه: البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٧٠٩): «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللهِّ لَوْمَةَ لاَئِمٍ» وهذا لفظ البخاري.

والمصنف قيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن يكونا من أهل المعروف، وأن لا يكونا من أهل المنكر، وقد ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ [1]» نسأل الله السلامة والعافية.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وأطيعا من ولاه الله أمركما مَا لم تدعيا إِلَى مَعْصِيّة، فَيجب أَن تمتنعا مِنْهَا، وتبذلا الطَّاعَة فِيمَا سواهَا.

.....

طاعة ولاة الأمر كذلك من الأصول العظام في شريعة الاسلام، ولذلك كان أهل العلم يجعلون هذه القضية العظيمة أصلاً يذكر في كتب العقائد، لكي يعلم الذي يجهل أن هذا الأصل راجع الى أصل في عقيدة أهل السنة والجماعة، ولذلك كتب اعتقاد أهل السنة على الخصوص لا بد وأن ترى فيها هذا الأصل العظيم، وطاعة ولاة الأمر قد تواتر فيها المعنى من حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، ونحن نرى ونسمع عن

---

(١) - أخرجه: البخاري (٣٢٦٧).

الجماعات والأحزاب والفِرق التي تتخطف الناشئة والصبيان اليوم، وعامة تلكم الأحزاب قد ضلت بسبب التنكر لهذا الأصل الذي أمر به الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى:

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [١]}

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ [٢]» وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا [٣]»

وهناك أحاديث كثيرة جداً فيها أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بهذا الأصل العظيم؛ وهو طاعة ولاة الأمر، فيربى الناشئة والصبيان منذ الصغر على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، وعلى أن هذا أصل عظيم لا نزاع فيه بين أهل السنة ولا خلاف بينهم فيه، ولا بد حين يربى الناشئة على هذا الأمر أن يتأكد الوالد أن هذا الأمر مغروس فيهم غرساً صحيحاً، ومر معنا قول حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان الناس يسألون

---

(١) – النساء: (٥٩).

(٢) – أخرجه: مسلم (١٨٥٥).

(٣) – أخرجه: أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. وكما قال القائل:

عرفتُ الشّرَّ لا للشّرِّ ولكنْ لتوقّيهِ ... ومَنْ لم يعرفِ الشّرَّ مِن الخيرِ يقعْ فيهِ.

فيعرف ضده وخلافه، ولا بد أن يرتبط في زرع هذا الأمر في نفوس الناشئة والصبيان معرفة أضداده ومن هم رؤوس أضداده من أصحاب الجماعات المنحرفة التي فارقت سبيل أهل السنة والجماعة ومالت مع الدهماء الذي خاضوا في الباطل الذي ما أمر به الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ولا أمر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فيحرص الأب، وتحرص الأُم على أن يكون هذا الأمر لازماً ويحفظ الطفل شيئاً من أحاديث السمع والطاعة التي جاءت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ويُعلم اسماء ولاة الأمر ومن هم وشيئاً عنهم حتى يحبب هذا الأمر في نفسه، فيذكر له شيء من مآثرهم ومحاسنهم وأفضالهم على الناس حتى يكون عنده شيء من المحبة لهم، لذلك طريقة أهل السنة جمع قلوب الناس على ولاة الأمر فكيف اذا كان من هؤلاء الناس هم أولادك فيجب أن تحرص على أن تجمع قلوبهم على ولاة الأمر .

وأخص بالذكر إخواني الذين قد يُهاجرون أو يسافرون الى بلاد أُخرى للبقاء فيها لبضع سنين أحياناً فلا تنسى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد جعل في عنقك بيعة لولي الأمر في بلدك، فاجعل لأولادك نصيباً من معرفة هذا في تربيتك لهم.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وعليكما بِالصّدقِ فَإِنَّهُ زين، وإياكما وَالْكذب فَإِنَّهُ شين، وَمن شهر بِالصّدقِ فَهُوَ نَاطِق مَحْمُود، وَمن عرف بِالْكَذِبِ فَهُوَ سَاكِت مهجور مَذْمُوم، وَأَقل عقوبات الْكذَّاب أَلا يقبل صدقه وَلَا يتَحَقَّق حَقه، وَمَا وصف الله تَعَالَى أحدا بِالْكَذِبِ إِلَّا ذاما لَهُ، وَلَا وصف الله تَعَالَى أحدا بِالصّدقِ إِلَّا مادحا لَهُ ومرفعا بِهِ.

.....

الصدق فيه تعامل مع البشر والمخلوقين، وفيه تعامل مع الخالق، وكذلك الكذب، ولا بُد أن يوضح هذا الأصل العظيم؛ أن الصدق أمرت به شريعة الاسلام، وأن الكذب نهت عنه شريعة الاسلام، فهنا أمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ونهي من الله عز وجل، وأهمية معرفة فضل الصدق، وخطورة الكذب ترجع الى فهم أن العبد اذا صدق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أصلح الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى حاله مع الناس، واذا كان بالضد فهو بالضد، وكذلك أيضاً أن العبد اذا أفسد ما بينه وبين الناس في التعامل بترك الصدق أو أصلح ما بينه وبين الناس بالتعامل بالصدق وترك الكذب فإن ذلك يُثمر صدقاً مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مع العمل ببقية الأسباب، ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر عن هذا الأمر العظيم فقال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي

إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا [١]» ودرجة الصِّديق أصلها صلاح ما بين العبد وربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى صدقاً في الإخلاص والعبودية لله عز وجل والتصديق بما جاء عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فيصل الرجل الى درجة الصِّدِّيقية، ولذلك سُمي أبو بكر رَضِي اللهُ عَنْهُ بالصِّدِّيق، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قبل موته دعا أن يكون مع الرفيق الأعلى وهم الذين جاء ذكرهم في قول الله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا [٢]} أما الكذب فهو يهدي الى الفجور، والفجور اسم جامع لجميع أبواب الشر، فلا بُد أن تُغرس مثل هذه المعاني في نفوس البنين والبنات، حتى يعرفوا أن صدقهم في التعامل مع الناس له ارتباط في تعاملهم مع خالقهم سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فهنا أصل عظيم في هذا الباب وهذا المعنى.

ولو لم يكن في قبح الكذب ذم إلا أن الكاذب مفضوح لا محال، قال ابن القيم رَحِمه الله: ويأبى الله في الكاذب إلا أن يفضحه ولو بعد حين، وينطقه بما يبين كذبه.

وسبحان الله تأمل في حال الكذابين، وخصوصاً من كان كذبه مرتبطاً بالشريعة، ومُسَيْلِمة الى هذا اليوم يقال عنه: مُسيلمة الكذاب، وسيبقى هذا وصفاً له لازماً حتى يبعثه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وانظر في كتب الجرح والتعديل كم فيها من ذكر الكذابين

---

(١) – أخرجه: البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) – النساء: (٦٩).

وبيان حالهم، فالكذب خطير جداً وأثره على دين العبد أثر سيئ جداً وهو مهلك للإنسان نسأل الله السلامة والعافية.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وعليكما بأَدَاء الْأَمَانَة، وإياكما والإلمام بالخيانة، أديا الْأَمَانَة، إِلَى من ائتمنكما، وَلَا تخونا من خانكما، وأوفيا بالعهد {إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً[1]} .

.....

أداء الأمانة كذا يقال فيه مثل ما قيل في سابقه من الصدق، فإن أداء الأمانة معاملة بين المخلوقين –هكذا يظهر– لكن أصلها راجع الى الديانة، فلا يقوم بهذه الأمانة على وجهها الصحيح إلا من استقام باطنه أو كان في باطنه خير، وإلا فإن ترك أداء الأمانة علامة على سوء الطوية والباطن ديانةً، نسأل الله السلامة والعافية.

فينبغي أن يربى الأولاد على هذا، وزرع الأمانة فيهم، بإظهار ما قد يحصل من أداء الأمانات أمامهم، وذكر أحوال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وسلف هذه الأمة في هذا الباب العظيم، ومن أعظم الأمانات ما كان منها متعلقا بالشريعة وأدائها.

ويحذر الإنسان حتى من الشيء اليسير من الخيانة، ولا تخونا من خانكما؛ فإن الباطل لا يُقابل بالباطل، والخطأ لا يُرد بالخطأ بل يعالج بالصواب، وليس معنى هذا

---

(١) – الإسراء (٣٤).

أن لا يأخذ الإنسان حقه ممن ظلمه وخانه، لكن المراد أن لا يفعل الإنسان الخيانة نفسها ولو كان قد فعل به شيء من تلك الخيانة. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [١]}، والوفاء بالعهود أمر لازم في الأعناق، ولا يتم الوفاء بالعقود والعهود والأمانات والصدق في معاملة الخلق إلا لمن جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قلبه حياً، لأن هذه الأشياء كثير ما تدخل في حظوظ النفوس، فيربى الأولاد على هضم حظ النفس، والنظر الى حق الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعالى أولاً، ورد الحقوق الى أصحابها.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

أوفيا الْكَيْل وَالْوَزْن، فَإِن النَّقْص فِيهِ مقت لَا ينقص المَال بل ينقص الدّين وَالْحَال.

.....

ذكر ضمن هذه الوصية العظيمة ما يتعلق بوفاء الكيل والوزن، فإن النقص فيه مقت؛ أي سبب للغضب والبغض من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى للعبد.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد ذم من لا يوفي الكيل والميزان، وأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بالوفاء بالكيل والميزان فقال: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ [٢]} وقال تعالى: {فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ [٣]} أي لا تنقصوهم حقوقهم في نقصان

---

(١) – المائدة: (١).

(٢) – الأنعام: (١٥٢).

(٣) – الأعراف: (٨٥).

الكيل والميزان، فينبغي أن يحرص العبد على هذا المعنى، ويربى عليه الأولاد، وأصل ذلك بعد مخافة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ومراقبته؛ هو حسن العمل من الإنسان في شؤون الدين، والقضية أصلها تربية الأولاد على حسن العمل، فإن أوَّل ما ينهى عنه من التطفيف في الميزان هو ما يتعلق بالأعمال الشرعية، فهذا له ميزان عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ومن أحسن العمل في هذه الدنيا كان له رجحان الكفة في الميزان يوم القيامة فهذا هو الأصل، فمن لم يحسن الوفاء في الأعمال التي أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بها فلا ينقص مما أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به، ولا يزيد على ما أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به، فمن أحسن في هذا كان ولا بد أن ينقلب هذا وينعكس على معاملته مع الخلق، وهو توفيق وتسديد من رب العزة للعبد، فيُربى الأولاد على هذا المعنى من مراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والعمل في مراضيه وترك نواهيه سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان هذا شأنه، ولما مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ، مَا هَذَا؟»، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ»، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا [(١)]» فهذا أصل عظيم ينبغي أن يُربَّى عليه الناشئة، وقلنا أن أصله ومرجعهُ؛ الوفاء بالميزان في الأعمال التي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بها أو نهى سُبْحَانَهُ وَتَعالى عنها.

---

(١) - أخرجه: الترمذي (١٣١٥).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما والعون على سفك دم بِكَلِمَة، أَو الْمُشَاركَة فِيهِ بِلَفْظَة، فَلَا يزَال الْإِنْسَان فِي فسحة من دينه مَا لم يغمس يَده أَو لِسَانه فِي دم امرىء مُسلم. قَالَ الله تَعَالَى: {وَمن يقتل مُؤمنا مُتَعَمدا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم خَالِدا فِيهَا وَغَضب الله عَلَيْهِ ولعنه وَأعد لَهُ عذَابا عَظِيما [١]}.

.....

ابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما يقول: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ [٢]» شأن دم المسلم عظيم، بل عموماً الدم الحرام شأنه عظيم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى سواء كان دم امرئ مسلم، أم كان دم كافر، وإن كان ولا شك ولا ريب أن شأن دم المسلم أعظم عند الله عز وجل.

ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا [٣]»، وقوله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} فالتهاون في الدماء خطر جلل، ولا شك أن هذا لا بُد أن يُعلم فيه الأحكام الشرعية، وغالب من ولج في هذا الباب إما بشبهة أو شهوة، ترى انسان يغضب على انسان ويختلفان في أمر فيقتل، أو يؤذي فيؤدي الى

---

(١) – النساء: (٩٣).

(٢) – أخرجه: البخاري (٦٨٦٣).

(٣) – أخرجه: البخاري (٦٨٦٢).

القتل، أو تكون بشبهة كما هو حال الخوارج الذين استحلوا دماء المسلمين وأهل القبلة، وكذلك استحلوا دماء المُعاهدين والمستأمنين من غير المسلمين.

وكثير من الناس من يغفل عن هذه القضية ويلتفت الى ما يتعلق بالبراءة الأصلية، فترى أن الولد الأصل فيه أنه بعيد عن الفتن، والشبهات، ومنشغل ببعض ملذات الدنيا فيستبعد وليه أن يقع في مثل هذه الأشياء التي تتعلق بسفك الدم الحرام، وسبحان الله كم يؤتى الناس من باب الغفلة، وكم يؤتى الناس من باب حسن الظن، والأمن، ومن أراد السلامة له ولولده فليحرص على أن يزرع فيه مثل هذه الأشياء، أحياناً في مجلس، أحياناً في نصيحة، أو بذكر بعض الآيات التي جاءت في ذلك، أو بعض الأحاديث ومعناها من كلام أهل العلم، الى غير ذلك من الأشياء التي قد تكون بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى سبباً لعصمة الولد من مثل هذه الفتن والله أعلم.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَاجْتنَاب الزِّنَى من أَخْلَاق الْفُضَلَاء، ومواقعته عَار فِي الدُّنْيَا وَعَذَاب فِي الْأُخْرَى.

قَالَ الله تَعَالَى: {وَلَا تقربُوا الزِّنَى إِنَّه كَانَ فَاحِشَة وساء سَبِيلا [١]}.

.....

ومن تأمل في نهي الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عن الزنى رأى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى نهى عن مُقاربة الزنى فلم يقل سُبْحَانَهُ وَتَعالى ولا تزنوا، بل قال عز وجل: {وَلَا تقربُوا الزِّنَى}

---

(١) - الإسراء (٣٢).

وهذه اللفظة يا إخوة تحتها وصايا عظيمة في باب تربية الأولاد، ومن أعظم ذلك التربية على الحياء والحشمة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ [١]» وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ [٢]» وكثير من الناس يغفل غفلة شديدة عن هذه القضية؛ وهي زرع الحياء في نفوس الأولاد ذكوراً وإناثاً، ترى أن الأب أو الأُم يقولان: الولد لا يزال صغيراً، أو يقولان: البنت لا زالت صغيرة، ويكبر الصغير ولا يزال الأب والأم يقولان: لا يزال صغير ولا تستعجل عليه، حتى يصل الى سن ما تعود فيه على الحياء، فيصعب عندئذ إصلاح ما قد هُدم، أو انثلم في تربية هذا الولد، وهذا الأمر كم عايَنَّاه وشاهدناه، يؤخر الوالدان إصلاح هذا الخلل حتى يصل الأمر الى وقت لا يستطيعان فيه إصلاح الخلل أو إن استطاعا فيكون خير فيه دخن.

وكذلك مما يتعلق بهذا الباب، خطأ تعويد الأولاد ذكوراً وإناثاً على غير اللباس الشرعي، وتأخير تعويدهم على اللباس الشرعي، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لما أمر بتعليم الأولاد الصلاة لسبع فهذا يقاس غيره عليه، فذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الصلاة وهي أصل لكن غيرها تَبَع، وذكر مثل هذه الأشياء وتعويد الأبناء عليها منذ الصغر يصعب بعد الكبر أن تغير هذه الأمر بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فالمبادرة بتعليم

---

(١) - أخرجه: البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

(٢) - أخرجه: البخاري (٦١٢٠).

الأبناء والبنات منذ الصغر هو الأصوب والأكمل، ولا ينتظر حتى اذا فات الفوت نبحث عن أسباب الخلل، وكيفية العلاج، فما يمكن إصلاحه في الصغر أيسر بكثير جداً من بعد البلوغ.

وكذلك مما يذكر هنا؛ ما يتعلق بإشباع حاجة الأولاد، وخصوصاً البنات، لما يرى الإنسان حصول كثير من المغريات والملهيات والفتن، وتلقف كثير من مرضى القلوب لبنات المسلمين، لا بد وأن يبحث عن الخلل، وإصلاح ذلك لا بد أن يكون من الصغر ولا ينتظر، ومن أعظم ما يحصل في هذا الباب من الخلل؛ الغفلة عن إشباع حاجتهم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قال: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ [١]} فهنالك حاجة فطرية في النفوس من الرجال للنساء، ومن النساء للرجال، وكثير من الخلل الذي يحصل في التفريط في إصلاح هذه الحاجة الفطرية وإشباعها عند الأولاد وعند البنات بالخصوص، وتأمل في إظهار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم محبته لابنته فاطمة رَضِي اللهُ عَنْها، كما جاء عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ كَانَ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامًا وَلَا حَدِيثًا وَلَا جِلْسَةً مِنْ فَاطِمَةَ، قَالَتْ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَآهَا قَدْ أَقْبَلَتْ رَحَّبَ بِهَا، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَا حَتَّى يُجْلِسَهَا فِي مَكَانِهِ، وَكَانَتْ إِذَا أَتَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحَّبَتْ بِهِ، ثُمَّ قَامَتْ إِلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ، وأَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ

---

(١) – البقرة: (١٨٧).

الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَرَحَّبَ وَقَبَّلَهَا [١]. فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يحرص على تقبيل ابنته فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْها وهي امرأة كبيرة، وهذا ينبغي أن يُحرص عليه من الآباء والأُمهات لما له من الأثر العظيم على النفوس، ولا يعني هذا بحال أن هذا الأمر خاص بالبنات بل هو للبنات والصبيان كما كان يصنع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مع الحسن والحسين، وكما جاء عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالحَسَنَ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا [٢]» فإظهار هذه المحبة له أثر عظيم جداً في إغلاق مفاسد على الأبناء والبنات في الجانب الذي ذكره المصنف رَحِمه الله.

وكذلك مما يُذكر هنا؛ ما يتعلق بالاستماع للأبناء والبنات، فلا يحتاجون الى البحث عمن يستمع إليهم، بل متى ما أرادوا أن يتحدثوا وجدوا من يستمع إليهم، وخطأ كثير من الآباء والأُمهات لما يأتي الطفل يتحدث فيقول له: فيما بعد، أو أنا مشغول، أو لا تزعجني، ونحو ذلك من الألفاظ، وهذا خطأ، فينبغي الاستماع، بل الإنصات إليهم، وإظهار أهمية ما يتحدثون به، وكثير من الأبناء والبنات ما يستطيعون التحدث مع والديهم، وما تعودوا على ذلك منذ الصغر، لذلك اذا كان عنده شيء يلجأ الى من

---

(١) - أخرجه: البخاري في: «الأدب المُفرد» (٩٤٧)، وصححه الألباني في: «صحيح الأدب المفرد» (١/ ٣٥٥).

(٢) - أخرجه: البخاري (٣٧٤٧).

يستمع إليه، واذا كانت هذه القضية مع البنات فالخطر والشر أعظم، فلا ينبغي إهمال هذا الجانب سداً لذريعة وجود الفراغ في نفوس الأبناء والبنات.

وكذلك ما يتعلق بالقدوة في اللباس، وعدم الاستهانة في الملبس في المنزل أمام الأبناء والبنات، وما يرونه سيطبقونه، ولا يُقال إنهم صغار، حتى وإن كانوا صغاراً فالعين تألف اذا كانت عين انسان بالغ عاقل، والطفل عينه تألف وتحفظ كذلك، ويكون عنده جانب التقليد أقوى من جانب العقل الذي يكون معه التفكير والترجيح والنظر في المصالح والمفاسد، فإذا ألف الصبي، وألفت البنت وجود اللباس المخالف لما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في المنزل فلا تعجب حينها اذا رأيت هذا الابن أو هذه البنت اذا كبرت على محبة مثل هذا اللباس، ولذلك ذكر أهل العلم وجوب ستر العورة عن الطفل المُميِّز، ولا يعامل الطفل المميز كمُعاملة الطفل غير المميز لمعنى العورة وما هي العورة، بل متى ما رأى الوالدان أن الطفل قد بدأ يُميز فيلتفت الى لباس معين أو أمر معين، ولا يلزم أن يكون هذا اِلتفات شهوة بل بمجرد اِلتفات الى أمر معين يراه في لبس أو في شيء فينبغي عندها الانتباه الى أن هذا الطفل قد بدأ يدرك أشياء يجب أن تحجب عنه وتُستر، ولا يُستهان بهذه المسائل العظيمة.

وكذلك من الحسن تعليم الأبناء والبنات ما يتعلق بحدود العورة، وشأن العورة، وغلظ العورة، وكذلك ما يتعلق بالعورة المُغلظة، وهذه مسألة مهمة لا ينبغي إهمالها، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من

النساء بالرجال؛ هذا يدل على أن هذا الخلل قد يحصل حتى من الأبناء الذكور، ولا يلزم أن يكون هذا الخلل في البنات فقط، وهذا حاصل، فهذا الشأن أيضاً يجب أن يُنبه عليه الآباء والأُمهات، أبناءهم وبناتهم، ويعلمونهم هذا المعنى العظيم، وحدود العورة، وكيفية التعامل مع هذه المسألة. والله أعلم.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما وَشرب الْخمر، فَإِنَّهَا أم الْكَبَائِر، والمجرئة على المآثم، وَقد حرمهَا الله تَعَالَى فِي كِتَابه الْعَزِيز فَقَالَ عز من قَائِل: {إِنَّمَا يُرِيد الشَّيْطَان أَن يُوقع بَيْنكُم الْعَدَاوَة والبغضاء فِي الْخمر وَالْمَيْسر ويصدكم عَن ذكر الله وَعَن الصَّلَاة فَهَل أَنْتُم مُنْتَهُونَ (١)} وحسبكما بِشَيْء يذهب الْعقل، وَيفْسد اللب، وَقد تَركهَا قوم فِي الْجَاهِلِيَّة تكرما، فإياكما ومقاربتها والتدنس برجسها، وَقد وصفهَا الله تَعَالَى بذلك وقرنها بالأنصاب والأزلام فَقَالَ عز من قَائِل: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢)} فَبين تَعَالَى أَنَّهَا من عمل الشَّيْطَان، ووصفها بالرجس، وَقرن الْفَلَاح باجتنابها، فهل يستجيز عاقلٌ يُصَدِّق البارىءَ في خبره - تبارك اسمُه -، ويعلم أنه أراد الخير لنا فيما حذرنا عنه منها، أنْ يقربها، أو يتدنَّس بها!.

.....

(١) - المائدة (٩١).

(٢) - المائدة (٩٠).

عرَّج في وصيته على اجتناب الخمر، وذكر بعض حالها، وحال أهلها، والذم لها ولأهلها، وما جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى من ذهاب العقول، وذهاب الألباب بشرب هذا المُنكر العظيم.

خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى الإنسان بعقلٍ ولُبٍ وفطرةٍ جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في عباده وفي خلقه، والعاقل لا يستجيز لنفسه أن يوصف بالجنون، أو أن يوصف بالخبال، والانسان لو وصف بذلك ينفر ويغضب ويخاصم، وقد يشتم ويفعل أشياء كثيرة جداً اذا وصف بذهاب العقل، فكيف بمن يأبى أن يوصف بذلك لكنه يصنع ما يكون مستحقاً فيه لذلك الوصف؟، لا شك ولا ريب عند العقلاء أن هذا أولى بالوصف من ذلك الذي قد ذهب عقله دون إرادة منه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لما ذكر وصف هذا المُنكر العظيم جعله من فعل الشيطان، وأخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن هذا المُنكر العظيم سبب لحصول العداوة والبغضاء، وكم ترى من أُناس قد سفكوا الدماء وعاقروا الكثير من المحرمات بعد أن تلبَّسوا بهذا الخبث نسأل الله السلامة والعافية.

والذي يُشار إليه في هذا الباب، والذي ينبغي أن يحرص عليه في هذا الباب؛ وصية عامة فيما ينبغي على الوالد لولده، أن يحرص على أن يكون ولده راجح العقل، راجح الفهم، وهذا يكون بأمور كثيرة جداً، ومن تلكم الأمور أن يزرع الإنسان في ذهن ابنه وابنته ما يكون من المساوئ بفعل مثل هذه الأشياء التي تُذهب العقول، ليست فقط في شرب الخمر، ولا في مثل ما يتعلق بالمُخدرات، ونحو ذلك، بل حتى في مُجرد رُجحان

العقل في نفسه، فهذا مقصد يُطلب ويُقصد، فأي مكان أو موضع أو حال يرى فيه الوالد أن يكون هذا سبب لتعليم وتعويد الولد على رجحان العقل، ورجحان الفهم وحسن الإدراك فينبغي أن يقدم ولده في ذلك، والأمثلة كثيرة ولكن لا يسع المقام ذكر ذلك، والله أعلم.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما والربا، فَإِن الله تَعَالَى قد نهى عَنهُ، وتوعد بمحاربة من لم يتب مِنْهُ فَقَالَ عز من قَائِل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ(١)} وَقَالَ تَعَالَى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ (٢)}.

وَلَا تأكلا مَال أحد بِغَيْر حق، وإياكما وَمَال الْيَتِيم، فقد قَالَ عز وَجل: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (٣)}

وعليكما بِطَلَب الْحَلَال وَاجْتنَاب الْحَرَام، فَإِن عدمتما الْحَلَال فالجآ إِلَى الْمُتَشَابه.

وإياكما وَالظُّلم، فَإِن الظُّلم ظلمات يَوْم الْقِيَامَة، والظالم مَذْمُوم الْخَلَائق مبغض إِلَى الْخَلَائق.

---

(١) – البقرة (٢٧٨ – ٢٧٩).

(٢) – البقرة (٢٧٦).

(٣) – النساء (١٠).

.....

أي ذنب قد يتصور الإنسان قُبحه مثل ذنبٍ توعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فاعله بحربٍ منه سُبْحَانَهُ وَتَعالى؟.

وجاء عن بعض السلف وهو مروي عن ابن عباس رَضِي اللهُ عَنْهُما أن صاحب الربا يُعطى رمحاً يوم القيامة ويقال له بارز ربك. فأي ذنب اقبح من هذا الذنب؟، وهذا الذي مر فيه مسائل وأمور يجب أن تُعقل؛ في حال الكلام عن تربية الأبناء وإصلاح الأولاد يجب دائماً أن يسعى الوالد في قطع طمع الابن عن النظر الى ما في أيدي الناس، فلا يجعل ابنه مُتطلعاً لما في أيديهم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقول لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١)} وقطع النظر والتطلع الى ما في أيدي الناس يُربي الابن على الفضائل والمعالي، وعلى عدم السفل والدنو، واذا اعتاد الإنسان أن يتطلع الى ما في أيدي الناس لا يعيش في راحه، ولا في سعادة أبداً بل يظل في ضيق وضنك، بل قد يكون عند بعض الناس عدم الرضا التام عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وهو لا يشعر والعياذ بالله.

فيُقطع طمع الأولاد بإعدائهم ما يحتاجون إليه، أو بصرف أنظارهم عما هو من حطام الدنيا، وملذاتها وشهواتها، أو يصرفه الى ما هو أعلى وأولى وأكمل منه مع

---

(١) – طه: (١٣١).

إعلامه بما يكون من قسمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى للأرزاق، فيعطي هذا ويمنع هذا، {وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ [١]} لعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعالى بما يليق بحال هذا، وما يليق بحال الآخر، وقد يعطي الآخر سُبْحَانَهُ وَتَعالى فتنة له، ويوسع عليه ويستدرجه من حيث لا يعلم، نسأل الله السلامة والعافية، فينبغي للوالد والوالدة تعويد الأبناء على هذا الأمر وتربيتهم عليه، فيقطعوا أطماعهم عن النظر الى ما في أيدي الناس، فلا يلتفت الى أخذ المال بغير حِله فيفعل الربا، أو يأخذ أموال الناس بالباطل، أو يأكل أموال اليتامى، أو يظلم الناس ويترك طلب الحلال، فبعض الناس ما يقنع إلا بالزيادة، وكان فيما قد رُفع ونُسخ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ [٢]».

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ [٣]».

---

(١) – الشورى: (٢٧).

(٢) – أخرجه: أحمد (١٩٢٨٠)، والترمذي (٢٣٣٧)، وابن حبان (٣٢٣٧) وصححه الألباني في: «التعليقات الحسان».

(٣) – أخرجه: مسلم (١٣٧).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما والنميمة، فَإِن أول من يمقت عَلَيْهَا من تنقل إِلَيْهِ وَقد رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ لَا يدْخل الْجنَّة قَتَّات.

.....

حذرهم رَضِي اللهُ عَنْهُ من النميمة، وهي من الأُمور التي تتعلق بمعاملة الخلق؛ فيسعى بالإفساد بين الرجل وصاحبه، والزوج وزوجه، والأخ وأخيه، والولد وأبيه، وغير ذلك، والنميمة هي نقل الكلام بغرض الإفساد، وكم من الناس هو نمام في صورة ناصح، وهو لا يشعر، وكثير من الناس يكون سبباً لفتح باب النميمة بإصغاء السمع لكل من تكلم وتحدث، والوصية هنا بأن يكون الولد عاقلاً لما يستحق أن يُسمع، والقدوة والأسوة في ذلك بما يكون في بيت هذه الأُسرة وما يكون منهم في المعاملة، وخصوصاً ما قد يحصل من بعض النساء من ذكر هذا وذاك، ونقل القال والقيل، فإذا لم يعاجل ويبادر أحد لقطع الكلام أو التذكير بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في هذا الموضع تستسيغ النفس وتألف، حتى تصل الى حال قد لا تؤثر معها المواعظ والتذكير بهذا الإثم وهذا الجرم، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ [١]» وفي

(١) - أخرجه: البخاري (٦٠٥٦).

لفظ: «نَمَّامٌ [١]» والقتات هو النمام الذي يسعى بالنميمة، وهذا يدلك على أنه كبيرة من الكبائر التي حرمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما والحسد فَإِنَّهُ دَاء يهْلك صَاحبه ويعطب تَابعه.

.....

فعلى الإنسان أن يعود ولده على الرضا بقسمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والتصديق بما جاء من عند الله في موعوده ووعده، وترك التطلع الى ما في أيدي الناس، وتعلم شيء من اسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وصفاته، فيزول عنه داء الحسد بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، لأنه داء يسعى في الجسد فيكون كالمرض الذي اذا تمكن من صاحبه لا ينفك عنه ولا يكاد يفارقه، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا [٢]» ومحبتك لأخيك تقتضي أن تحب له ما قد قسمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى له، وأعطاه إياه.

---

(١) - أخرجه: مسلم (١٠٥).

(٢) - أخرجه: مسلم (٢٥٥٩).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما وَالْفَوَاحِش فَإِن الله تَعَالَى حرم مَا ظهر مِنْهَا وَمَا بطن وَالْإِثْم وَالْبَغي بِغَيْر الْحق.

.....

كل فاحشة من الفواحش سواء كانت المُحرَّمات جميعها فهي فواحش، أو كانت من جنس الزنا ومقدماته ومُقرباته أو ظلم الغير، وكل ذلك داخل تحت معاملة الخلق، ومن الإحسان في معاملة الخلق أن يكف الإنسان بصره عما حرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فكما هو إحسان لنفسك هو إحسان للخلق، ولا تكون سبباً في وقوع الناس فيما حرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما والغيبة فَإِنَّهَا تحبط الْحَسَنَات وتكثر السَّيِّئَات وتبعد من الْخَالِق وَتبْغض إِلَى الْمَخْلُوق.

.....

الغيبة إما أن يُدفع الإنسان إليها بداء الحسد، أو داء البغض والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وأحياناً قد يصنعه الإنسان وهو غافل عن هذا الداء، وصيانة اللسان عموماً يا إخوة عن بذيء الكلام نعمة يسوقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى للعبد، وبعض الناس يعود أولاده على بعض الألفاظ القبيحة التي قد يكون بعضها في بعض المناطق والأماكن –

نسأل الله السلامة والعافية- يعود الطفل حتى على سَب الدين، وسب الرب أوَّل ما ينطق والعياذ بالله، وقد كان السلف يعودون الصبي اذا افصح أن يقول لا إله إلا الله، وبعض الناس اذا بدأ ولده الكلم يعلمه سَب الدين، وسب الله نسأل الله السلامة والعافية، وهذا يحدثني به بعض الناس، يقولون هذا يحصل في بلد كذا وبلد كذا نسأل الله السلامة والعافية، فيجب أن يعود الولد منذ الصغر على صيانة اللسان.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما وَالْكبر فَإِن صَاحبه فِي مقت الله متقلب وَإِلَى سخطه مُنْقَلب.

.....

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ [١]» فالكبرياء والعظمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فله الكبرياء الكامل، والعظمة الكاملة، وليس ثَمَّ موضع قد أذنت فيه الشريعة بالتفاخر والتكبر والتجبر، بل كله مذموم، فهو كمال في حق الله نقص في حق العبد، فكل من تَلبَّس بشيء منه كان منازعاً لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فيما هو حق محض له سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

(١) - أخرجه: أبو داود (٤٠٩٠)، وصححه الألباني في: «صحيح أبي داود».

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما وَالْبخل فَإِنَّهُ لَا دَاء أدوأ مِنْهُ لَا تسلم عَلَيْهِ ديانَة وَلَا تتمّ مَعَه سيادة.

.....

البخل أصناف وأنواع، وإنما يحصل البخل مما يكون في القلب من حُب التَّملُّك الخالص الذي يتعامل معه الإنسان وكأن الشيء قد خلق له وصنع له، ليس مملوكاً لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ولا أنه قد يزول عنه بعد حين، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يزيل عن العبد ما قد أعطاه من النِّعم اذا منع ما أوجبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فيها، وروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إِنَّ لله أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا يَبْذُلُونَهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلى غَيْرِهِمْ [(١)]».

(١) - أخرجه: البيهقي في: «الشُّعب» (٧٢٥٦)، والطبراني في: «الكبير» (١٣٩٢٥)، وضعفه الألباني في: «الضعيفة» (٢٦٢٧).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما ومواقف الخزي وكل مَا كرهتما أَن يظْهر عَلَيْكُمَا، فاجتنباه وَمَا علمتما أَن النَّاس يعيبونه فِي الْملأ فَلَا تأتياه فِي الْخَلَاء.

.....

ذكر رَحِمه الله مراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في السر والعلن ، والانسان قد يحصل منه المعصية والذنب ويستتر بستر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، كما جاء في البخاري وغيره: من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ. أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم [١] .

فقد يحصل من العبد شيء من مقارفة الذنوب والمعاصي، والأصل في مراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن العبد يداوم على تيقنه بمعرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لعمله واطلاعه عليه، ليس هو فقط مجرد معرفة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مُطَّلع، بل هي أبلغ من ذلك فينبغي أن يداوم على ذلك، فهي منزلة ورُتبة قل من يصل إليها من الناس، والنبي صَلَّى

---

(١) - أخرجه: مالك (١٧٦٩): «مَنْ أَصَابَ مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئًا، فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ، نُقِيمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ» وعند الحاكم في: «المُستدرك» (٧٦١٥) بنحوه. وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي. وأما ما أخرجه الشيخين: البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠):كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قد أخبر لما سئل عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ [١]» فأخبر عن هاتين الرُّتبتين:

رُتبة الطلب: أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ.

رُتبة الهَرَب: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ؛ فتعبد الله وأنت تعلم أنه يراك.

فالأول يريد أن يطلع الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على كمال عمله، والثاني يخشى أن يطلع الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على نقصٍ في عمله، وكلاهما مُحسن، ولكن الأول أبلغ وأكمل، لأن الثاني قد حصل على سبيل الاستثناء «فإن لم».

ومما ينبغي أن ينبه عليه في مثل هذا؛ تربية الأولاد على مراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قولاً وعملاً وفعلاً، وكثير من الناس يشكو أن ابنه أو ابنته يحصل منهما الكثير من المخالفة وفعل الخطأ حال غيبة الوالدين.

ويا إخوة من أعظم ما يُربى عليه الأبناء: تربيتهم على معرفة بعض اسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وصفاته، ومراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هي التعبد باسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى «الرَّقيب» وينبغي أن يُعلم الأبناء ما معنى الرقيب، وما معنى مراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وأن هنالك مراقبة من الله، وهنالك مراقبة من العبد؛ فالمراقبة من العبد أن يعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مُطلع على عمله، وهو يريد أن يري ربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى هذا

---

(١) - أخرجه: البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

العمل. والمراقبة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى للعبد؛ فيعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى مُطلع على عمله فلا يريد أن يحصل شيء من النقص في عبادته لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

فَإِن بلغ أَحَدكُمَا أَن يسترعيه الله أمة بِحكم أَو فَتْوَى فليمتثل الْعدْل جهده ويجتنب الْجور وغدره فَإِن الجائر مضاد لله فِي حكمه كَاذِب عَلَيْهِ فِي خَبره مغير بِشَرِيعَتِهِ مُخَالف لَهُ فِي خليقته قَالَ الله تَعَالَى {وَمن لم يحكم بِمَا أنزل الله فَأُولَئِك هم الْفَاسِقُونَ [١]} .

.....

العدل مأمور به في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وفي حق عباده، وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى كل من ولي ولاية خاصة أو عامة بهذا العدل، قال تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا [٢]} فأخبر أن ترك العدل من الهوى، ويقول ابن تيمية رَحِمه الله: الْعَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِعَدْلِ قَامَتْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمَتَى لَمْ تَقُمْ بِعَدْلِ لَمْ تَقُمْ وَإِنْ كَانَ لِصَاحِبِهَا مِنْ الْإِيمَانِ مَا يُجْزَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ [٣]. فترك العدل قبيح، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بيَّن خطورة

---

(١) – المائدة: (٤٧).

(٢) – النساء: (١٣٥).

(٣) – انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٤٦).

ترك العدل، وذكر المصنف رَحِمه الله قول الله تعالى: {وَمن لم يحكم بِمَا أنزل الله فَأُولَئِك هم الْفَاسِقُونَ} فهو ضرب من الفسق، وفي الآية الأُخرى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١)} فهو ضرب من الظلم، وفي الآية الأُخرى قال: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٢)} وهي صور تفصيلها ليس في هذا الموضع، ولذلك ينبغي للإنسان أن يعلم خطر الجور، وترك العدل، وما يترتب عليه، ومن أراد أن يُنشأ بنيه على العدل فليعدل بينهم، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لما جاءه رجل ليشهد على منيحة لأحد بنيه، فسأله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم «أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ (٣)» فإقامة العدل أساس لصلاح الأُسر، والمجتمعات، ولا يمكن أن تصلح الأُسر على غير أساس العدل، اذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقيم الدول بالعدل فكيف لا يقيم أُسرة قوامها أربعة أو خمسة أو ستة من الناس.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَقد رُوِيَ أَن الْخلق كلهم عِيَال الله وَأَن أحب الْخلق إِلَى الله أحوطهم لِعِيَالِهِ.

.....

وهذا الحديث ضعيف.

---

(١) – المائدة: (٤٥).

(٢) – المائدة: (٤٤).

(٣) – أخرجه: مسلم (١٦٢٣). وانظر: «صحيح البخاري» (٢٥٨٦).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَرُوِيَ (مَا امْرُؤ استرعي رعية فَلم يحطهَا بنصيحة إِلَّا حرم الله تَعَالَى عَلَيْهِ الْجنَّة).

.....

الحديث متفق عليه [١].

وإياكما وَشَهَادَة الزُّور فَإِنَّهَا تقطع ظهر صَاحبهَا وتفسد دين متقلدها وتخلد قبح ذكره وَأول من يمقته وينم عَلَيْهِ الْمَشْهُود لَهُ.

.....

شهادة الزور يا إخوة، هي الشهادة التي تكون كاذبة ليتوصل بها الى باطل.

كتحريم حلال، أو تحليل حرام، أو أخذ مال بغير حق، أو إتلاف نفس، وغير ذلك.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ [٢]» كان هذا في الصوم.

---

(١) - عند البخاري (٧١٥٠):«مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ». ومسلم (١٤٢): «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

(٢) - أخرجه: (١٩٠٣).

ولما ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أكبر الكبائر قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ [١].

فجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قول الزور من أكبر الكبائر والعياذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والصدق يا إخوة كما حصل في قصة كعب بن مالك رَضِي اللهُ عَنْهُ وصاحبيه، وكان ذلك سبباً لنجاتهم رَضِي اللهُ عَنْهُم، فالصدق منجاة، اصدق يصدق بنوك ويصدق أهلك بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما والرشوة فَإِنَّهَا تعمي عين الْبَصِير وتحط قدر الرفيع.

.....

الرشوة؛ قيل هي مأخوذة من الرِّشاء، وهي الحبل الذي يتوصل به الى الماء في البئر، وقيل إن جمعها رُشا.

والراشي هو الذي يبذل ماله ليتوصل بذلك الى باطل، فهنالك مناسبة بين الحبل الذي يتوصل به الى الماء من البئر، والمال الذي يتوصل به الى الباطل.

---

(١) - أخرجه: البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

وقد «لَعَنَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ [١]» وجاء في البخاري قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ [٢]» وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الحديث الآخر: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ [٣]» وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ [٤]» وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ [٥]» وما ينبغي للإنسان أن يأخذ مالاً إلا عن استحقاق لهذا المال، كما لا يجوز له أن يبذل المال إلا في حق، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر أن العبد يُسأل يوم القيامة عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ [٦] وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى

---

(١) – أخرجه: أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧).

(٢) – أخرجه: البخاري (٢٠٨٣).

(٣) – أخرجه: البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠).

(٤) – أخرجه: مسلم (١٣٧).

(٥) – أخرجه: الدارقطني (٢٨٨٦)، والحاكم (٣١٨). وعند مسلم (١٠٣٧):«إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ، فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، فَيُبَارَكُ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَشَرَهٍ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ» وأخرج أبو داود (٣٠٥٢): «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(٦) – أخرجه: الترمذي (٢٤١٧).

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُّ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللهَّ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَّ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَّ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ " ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» بَصُرَ عَيْنِي وَسَمْعَ أُذُنِي [١].

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما والأغاني فَإِن الْغناء ينْبت الْفِتْنَة فِي الْقلب ويولد خواطر السوء فِي النَّفس.

.....

الغناء محرمٌ باتفاق الأئمة الأربعة، لا خلاف بينهم في حُرمته، وما قال قائل من الأئمة الأربعة بجوازه قط، وإنما هي أقوال أُحدثت بعدهم، أما أقوالهم فهي صريحة في تحريمه، حتى قال مالك رَحِمه الله: ما يصنعه عندنا إلا المُخنَّثون. وجميعهم كانوا يشددون في تحريم الغناء.

---

(١) - أخرجه: البخاري (٦٩٧٩).

وقال ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ فيما روي عنه في تفسير قول الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ [١]} قَالَ: «هُوَ وَاللَّهِ الْغِنَاءُ [٢]» وابن مسعود هو الذي قال فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «رَضِيتُ لِأُمَّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ [٣]» وهو عبد الله بن مسعود [٤].

وأحمد رَحِمه الله لما سأله ابنه عن الغناء قال: الغناء ينبت النفاق في القلب لا يُعجبني.

ومن العجب أن يأتي اليوم من يستنكر على الأئمة الأربعة تحريم الغناء، ومن العجب أن تجد من ينسب الى مذهب مالك إباحة الغناء، وقد صرَّح رَحِمه الله وقال لا يفعله عندنا إلا المُخنثون.

فابعدوا أبنائكم عن الغناء، وعودوهم على سماع القرآن، وأحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فالقلب كالوعاء تدخل فيه شيء ويخرج منه شيء آخر اذا امتلئ، فله حد،

---

(١) – لقمان: (٦).

(٢) – أخرجه الحاكم (٣٥٤٢).

(٣) – أخرجه: أحمد في: «فضائل الصحابة» (١٥٣٦)، والبزار (١٩٨٦)، والطبراني في: «الأوسط» (٦٨٧٩). وصححه الألباني في: «الصحيحة» (١٢٢٥).

(٤) – وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ» وذكر أولهم عبد الله بن مسعود. أخرجه: مسلم (٢٤٦٤).

فإذا أدخلت القرآن فإنه يطرد ما سواه من شأن أمر الدنيا، ولذلك لكما تعلق القلب بمثل هذه الأمور، كلما كان أبعد عن القرآن ولا شك، فتش وانظر فيمن حولك كيفما شئت، فلا يمكن أن يجتمع القرآن والأغاني في القلب.

فالغناء مفسدة لقلب العبد، ومفسدة لحاله، ومن المعلوم أن أوَّل فتنه كانت لابن آدم كانت في التعلق بالصور، وما كان في قوم نوح عليه الصلاة والسلام، فإن الشيطان أوحى إليهم أن ينصبوا على قبور الصالحين أصناماً فعكفوا عندها وتعلقوا بها، والغناء يبعث على هذا المعنى ويولد هذه الخطرات التي تجعل في القلب شيئاً من الميل الى استحضار تلك الصورة التي يتعلق بها القلب، وكثير من الناس قد لا يلتفت الى هذا المعنى الدقيق، ويقول أن الشرع جاء بإباحة المحبة، وتعظيم شأنها سواء كانت بين زوجين أو قريبين أو نحو ذلك، لكن تبقى القضية التي يجب أن يلتفت إليها وهي المعنى الذي لأجله أجمع الصحابة رَضِي اللهُ عَنْهُم والمذاهب الأربعة كلها على تحريم الغناء، لأجل ما فيه من المفاسد العظام.

وهو أراد هنا أن ينبه ولديه على ترك هذه الأمور التي قال عنها إنها من السخافات التي لا ينبغي أن يعتنى بها.

وابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما كان يمنع خادمه اذا مر في طريق فيه الغناء ويأمره أن يجعل اصبعه في أذنه ويشد لكي لا يسمع، وهذا من التنفير عن الغناء.

وننبه هنا على أمر مهم، وخصوصاً مع انتشار هذه الأجهزة بين الصغار، والتساهل الذي يحصل حتى في بيوت كثير من طلبة العلم والمنتسبين الى طلب العلم، التساهل في سماع هذه الأشياء التي قد تُنبت نوع من الغفلة عن تربية الأبناء على ما يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى ويرضاه، فلا يمكن أن تجعل الغناء والعمل الصالح في كفة واحدة، وإن قيل قد يُجعل ذلك في عموم المُباحات، فنقول يكفي بذلك ذم الشريعة له، وإجماع المذاهب الأربعة على تحريم الغناء.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما وَالشطْرَنْج والنرد فَإِنَّهُ شغل البطالين ومحاولة المترفين يفْسد الْعُمر ويشغل عَن الْفَرْض وَيجب أَن يكون عمركما أعز عَلَيْكُمَا وَأفضل عندكما من أَن تقطعاه بِمثل هَذِه السخافات الَّتِي لَا تجدي وتفسداه بِهَذِهِ الحماقات الَّتِي تضر وتردي.

.....

معالي الأمور يحرص عليها أهل المعالي، وسفساف الأمور يحرص عليها أهل السفاسف، والناس متفاوتون، كلن يجمع وكلن يحمل في جعبته من الأشياء، فمنهم من يريد أن يعلو بهمته، ومنهم من يريد أن يسفل بهمته، لكن تذكر أن الإنسان متى ما

عود نفسه على المعالي ما يمكن أن يلتفت الى سفساف المسائل، كما قال ابن القيم رَحِمه الله: من الناس من همته فوق العرش، ومنهم من همته في الحش [١].

وأما النرد والشطرنج قد أجمع أهل العلم على تحريمهما على شرط المال، كما نقله الحليمي [٢]، وأما تحريمهما على غير شرط المال فقد اختلف فيه أهل العلم، وقد جاء: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ، فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ [٣]» وهذا في صحيح مسلم.

وقال بعض أهل العلم أن استعمال النرد إنما حرم لأجل ما فيه من استعمال الحظ، وقاسوا عليه كلما كان استعماله في تطلع وتشوف الى ذلك الحظ، والشطرنج فيها استعمال نوعاً من التماثيل والصور التي تُستخدم، فينبغي البعد عن هذا، وخصوصاً لما ذكره المصنف رَحِمه الله من المعاني، وأُعيد وأُنبه على الأصل الذي ينبغي أن يُلتفت إليه وهو؛ إشغال الأبناء والذُّرية بما يكون فيه صلاح الحال وصلاح المآل.

---

(١) - قال في: «الجواب الكافي» (١/ ١١٨):قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ جَوَّالَةٌ، فَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْحُشِّ.

(٢) - انظر: «المنهاج في شعب الإيمان» لأبي عبد الله الحليمي (٣/ ٩٠).

(٣) - أخرجه: مسلم (٢٢٦٠).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما وَالْقَضَاء بالنجوم والتكهن فَإِن ذَلِك لمن صدقه مخرج عَن الدّين ومدخل لَهُ فِي جملَة المارقين، وَأما تَعْدِيل الْكَوَاكِب وتبيين أشخاصها وَمَعْرِفَة أَوْقَات طُلُوعهَا وغروبها وَتَعْيِين منازلها وبروجها وأوقات نزُول الشَّمْس وَالْقَمَر بهَا وترتيب درجاتها للاهتداء بِهِ وتعرف السَّاعَات وأوقات الصَّلَوَات بالظلال وَبهَا فَإِنَّهُ حسن مدرك ذَلِك كُله بطرِيق الْحساب مَفْهُوم قَالَ الله تَعَالَى {وَهُوَ الَّذِي جعل لكم النُّجُوم لتهتدوا بهَا فِي ظلمات الْبر وَالْبَحْر [١]} وَقَالَ عز من قَائِل {هُوَ الَّذِي جعل الشَّمْس ضِيَاء وَالْقَمَر نورا وَقدره منَازِل لِتَعْلَمُوا عدد السنين والحساب مَا خلق الله ذَلِك إِلَّا بِالْحَقِّ يفصل الْآيَات لقوم يعلمُونَ [٢]}.

.....

نبه رَحِمه الله هنا ابنيه على خطر القضاء بالكهانة والتنجيم، لأن الخطر في هذا الباب تعلق بأصل قيام الدين في قلب العبد والذي قد يكون سبباً للخروج به عن ملة الاسلام والعياذ بالله، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ [٣]» فالأمر شأنه عظيم.

---

(١) - الأنعام: (٩٧).

(٢) - يونس: (٥).

(٣) - أخرجه: أحمد (٩٥٣٦)، وأبو داود (٣٩٠٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وهنا نوعان:

- نوع له تعلق بالتماس الحظ ومعرفة الغيب؛ وهذا محرَّم.
- ونوع له تعلق بالتعرف على منازل القمر للاهتداء بها، ومعرفة ما يتعلق بالأمطار والمواسم ونحو ذلك من الأشياء التي يُستفاد منها، وقد تكون منها أمور شرعية كأوقات الصلوات، والشهور وخروجها، ونحو ذلك لقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} وتربية الأبناء على العقائد السليمة الصحيحة منجاة وسلامة للأبناء من الانحراف والزيغ، وحرص الآباء على زرع المعاني الجليلة، والاهتمام بمعالي الأمور وترك سفسافها هو مما ينبغي أن يحرص عليه الآباء والأُمهات لما يترتب عليه من صلاح الأبناء وصلاح المجتمعات بحول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَأما الْقسم الثَّانِي مِمَّا يجب أَن تَكُونَا عَلَيْهِ وتتمسكا بِهِ:

.....

فالقسم الأول كان وصية لهما بشأن الدين عامة، وهذا هو القسم الثاني من وصيته رَحِمه الله لولديه، وسيذكر رَحِمه الله معاني جليلة، تتعلق بالعلاقة بين الأخ وأخيه، ولا شك أن هنالك من العلاقات التي ليس فيها قرابة نسب لكنها أعظم من بعض

العلاقات التي فيها علاقة نسب، فمثل هذا يوجد، كالعلاقات التي تقوم على المحبة في الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

لكن تزدان وتجمل اذا كانت هنالك قرابة نسب انضاف إليها محبة في الله والله عز وجل، ونجد اليوم كثير من التشدد والتفرق في كثير من البيوتات وللأسف، وفقدان التواصل والصلة بين الأخ وأخيه، والأخت وأختها، والأخ وأخته، وهذا كثير، وزاد من هذا التقاطع والتدابر وجود ما يُسمى بمواقع التواصل الاجتماعي التي هي اليوم من أسباب التفاصل، لا من أسباب التواصل، فيرى الإنسان أنه محسن اذا ارسل رسالة لأخيه بين فترة وفترة أخرى قد تطول،

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

فَأن يلْتَزم كل وَاحِد مِنْكُمَا لِأَخِيهِ الْإِخْلَاص وَالْإِكْرَام والمراعاة فِي السِّرّ وَالْعَلَانِيَة والمراقبة فِي المغيب والمشاهدة.

.....

والأخ يكون عوناً كما كان هارون عليه السلام عوناً لأخيه موسى عليه السلام، وموسى طلب من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يجعل أخاه عوناً له: {هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا [١]} وما أجمل أن تكون المعونة من أخ بينك وبينه قرابة نسب، وقد تكون هنالك من

---

(١) – طه: (٣١ الى ٣٤).

قرابة النسب والأخوة ما يكون فيها الضرر كما حصل بين قابيل وهابيل لما قتل أحدهما أخاه وسفك دمه.

فاذا كانت تربية الأبناء على معرفة عظم شأن الأخوة، وعلاقتهم ببعض من الصغر، من التواصل والإيثار، والتناصح وعطف الكبير على الصغير، واحترام الصغير للكبير، فيخلص لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في أخيه.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وليلزم أكبركما لِأَخِيهِ الإشفاق عَلَيْهِ والمسارعة إِلَى كل مَا يُحِبهُ والمعاضدة فِيمَا يؤثره والمسامحة لكل مَا يرغبه.

.....

لأن في ذلك نوعاً من جذب القلب إليه، وكثيراً ما يتأثر الأخ الصغير بالأخ الكبير، فالإحسان مدعاة لإصلاحه والاقتداء به.

ويلتزم أصغركما لِأَخِيهِ تَقْدِيمه عَلَيْهِ وتعظيمه فِي كل أَمر بِالرُّجُوعِ إِلَى مذْهبه والاتباع لَهُ فِي سره وجهره وتصويب قَوْله وَفعله.

.....

ولذلك لما جاء رجال الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فأراد أصغرهم أن يتكلم، قال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «كَبِّرْ كَبِّرْ [١]».

---

(١) - أخرجه: البخاري (٧١٩٢)، ومسلم (١٦٦٩)، وأبو داود (٤٥٢١).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَإِن أنكر مِنْهُ فِي الـمَلأ أمرا يُريدهُ أَو ظهر إِلَيْهِ خطأ فِيمَا يَقْصِدهُ فَلَا يظْهر إِنْكَاره عَلَيْهِ وَلَا يجْهر فِي الْملأ بخطيئته وليبين لَهُ ذَلِك على انْفِرَاد مِنْهُمَا ورفق من قَوْلهمَا فَإِن رَجَعَ إِلَى الْحق وَإِلَّا فليتبعه على رَأْيه فَإِن الَّذِي يدْخل عَلَيْكُمَا من الْفساد باختلافكما أعظم مِمَّا يحذر من الْخَطَأ مَعَ اتفاقكما مَا لم يكن الْخَطَأ فِي أَمر الدّين فَإِن كَانَ فِي أَمر الدّين فَليتبعْ الْحق حَيْثُ كَانَ وليثابر على نصح أَخِيه وتسديده مَا اسْتَطَاعَ وَلَا يحل يَده عَن تَعْظِيمه وتوقيره.

.....

وهذه مسألة عظيمة، فترى في كثير من الأحيان الأخ الكبير ينتقد وبشدة الأخ الصغير أمام الناس، ويظهر العيب عليه أمام الناس، ولا يراعي في ذلك أن هذا مدعاة لقطع كثير من أواصر التواصل بين الأخ وأخيه، فينبغي مراعاة مثل هذه المعاني، التي فيها نوع من التربية والإصلاح للأصغر من طرف الأكبر.

وحصول الخلاف وانتشاره واشتهاره، مفسدة عظيمة، فيتفقان على أمر مالم يكن فيه مخالفة شرعية، فالخلاف شر، وكان هنالك من يتسمح من أهل العلم في ذكر بعض المسائل والمخالفة فيها تتعلق بالمسائل الشرعية لحصر الخلاف وذهاب شره، ولذلك ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ لما ذكر له في صلاته خلف عثمان رَضِي اللهُ عَنْهُ وعدم إنكاره عليه، ذكر رَضِي اللهُ عَنْهُ أنه ما أراد أن يفتح باب خلاف.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَلَا يُؤثر أَحَدكُمَا على أَخِيه شَيْئا من عرض الدُّنْيَا فيبخل بأَخيه من أَجله ويعرض عَنهُ بِسَبَبِهِ أَو ينافسه فِيهِ وَمن وسع عَلَيْهِ مِنْكُمَا فِي دُنْيَاهُ فليشارك بهَا أَخَاهُ وَلَا ينْفَرد بهَا دونه وليحرص على تثمير مَال أَخِيه كَمَا يحرص على تثمير مَاله.

وأظهرا التعاضد والتواصل والتعاطف والتناصر حَتَّى تعرفا بِهِ فَإِن ذَلِك مِمَّا ترضيان بِهِ رَبكُمَا وتغيظان بِهِ عدوكما.

.....

ذكر رَحِمه الله الإيثار للإخوة وقرابة النسب على الدنيا الفانية، وسبقت الإشارة على ما يتعلق بعناية الأخ بأخيه، والحرص على الأخ، وما يترتب على ذلك من التعاضد على أمور الآخرة، كما ذكرنا في قصة موسى عليه السلام مع أخيه هارون عليه السلام.

وإياكما والتنافس والتقاطع والتدابر والتحاسد وَطَاعَة النِّسَاء فِي ذَلِك فَإِنَّهُ مِمَّا يفْسد دينكما ودنياكما وَيَضَع من قدركما ويحط من مَكَانكُمَا ويحقر أمركما عِنْد عدوكما ويصغر شأنكما عِنْد صديقكما.

.....

كثير من الذي نراه في كثير من البيوتات، تقاطع وتدابر بين الأخ وأخيه، ومما سمعته يقول أحدهم لم أر أخي منذ سنتين، سألته أمن خلاف؟ قال لا ليس بيننا خلاف! ما ميزان هذه الأخوة؟ وبلا شك أن الأخوة تعظم بطاعة الله ورسوله صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّم، واذا كانت هذه الأخوة قد تزينت وتحلت بمحبة في الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى تعظم ويعظم مقدارها، ويقل مقدار هذه الأخوة ليس فيها ما يشعر بوجود المحبة في الله عز وجل، ولا ينبغي أن تكون الأخوة محصورة في أخوة النسب حتى بين الأخ وأخيه، فيجب أن تكون أخوة في الله عز وجل، وأن تكون طاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وقربة الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فتجد ما يحثك ويسوقك على الحفاظ على هذه الأخوة، فعلى الإنسان أن يتقي الله، ويعلم أنه مسؤول عن قرابة النسب قبل قرابة الدين، لأن قرابة النسب مسؤول عنها من جهتين: من جهة الدين، ومن جهة النسب.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَمن أسدى مِنْكُمَا إِلَى أَخِيه مَعْرُوفا أَو مكارمة أَو مُوَاصلَة فَلَا ينْتَظر مقارضة عَلَيْهَا وَلَا يذكر مَا أَتَى مِنْهَا فَإِن ذَلِك مِمَّا يُوجب الضغائن ويسبب التباغض ويقبح الْمَعْرُوف ويحقر الْكَبِير وَيدل على المقت والضعة ودناءة الهمة.

.....

هذا أمر ينبغي أن يحرص عليه الوالد في إصلاح ذريته وأولاده، فتربية الأبناء على العلاقة الحسنة بينهم، وتنمية أواصر المحبة بينهم، لا بد أن تكون أوسع من أن تكون محصورة في حاجات النفس وملذاتها، وما تتطلع إليه النفس من رغباتها، فكل انسان يطلب حظه إما من الدنيا وإما من الآخرة، ويطلب دفع الشرع عنه، وجلب الخير والمنفعة لنفسه، ونعم الإنسان لا يُتلف نفسه في مقابل الحفاظ على غيره، فإن هذا ليس

مما أمر به الإنسان، لكن يطلب حظ نفسه مما يكون مرغَّباً فيه لأجل الآخرة، واذا انضاف الى ذلك طلب المنفعة الدنيوية لا لذاتها بل تُطلب تبع للمنفعة الأخروية، فهذا الذي ينبغي، فالمُربي اذا جعل النظرة سامية عند أولاده كما يصنع الباجي رَحِمه الله في رسالته هذه، لأننا اليوم اذا كان الولد لم يتعلم الإيثار والمحبة، ولين الجانب، والرفق مع أخيه، وحسن العشرة معه، فتيقن أن هذا سينعكس يوماً ما على معاملته مع الخلق ومع غير أخيه، وأخيه أولى وأحق بالمعاملة الحسنة لما جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في عنق الإنسان تجاه أخيه من الحقوق الدنيوية والدينية.

وَمن أسدى مِنْكُمَا إِلَى أَخِيه مَعْرُوفا أَو مكارمة أَو مُوَاصلَة، فلا يجعلها كالقرض الذي ينتظر سداده، بل يجعلها عطية دون انتظار مقابل، وهذا موجب لحفظ الأعمال الصالحة، والحسنات، والإحسان، والذي يُثبت ذلك أن يقصد به وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فكثير من الناس يصنع المعروف وينتظر المقابل فيكون حاله كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في كتابه الكريم: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا (١)} والصفوان؛ الحجر الأملس، يكون عليه تراب واذا رآه الرائي من بعيد يظنه أرصاً خصبة، فاذا جاء المطر أزاح ذلك التراب وانكشف الحجر فظهر وبانت الحقيقة، فالجاهل يرى التراب ولا يرى ما تحته فيظنه أرصاً خصبة

(١) – البقرة: (٢٦٤).

فاذا نزل المطر وانزاح التراب فاذا به حجراً صلداً شديداً لا يصلح للغرس، وهكذا من صنع المعروف وينتظر رده، فيجعله كالمقارضة.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَإِن أَحَدكُمَا زل وَترك الْأَخْذ بوصيتي فِي بر أَخِيه ومراعاته فليتلاف الآخر ذَلِك بتمسكه بوصيتي وَالصَّبْر لِأَخِيهِ والرفق بِهِ وَترك المقارضة لَهُ على جفوته والمتابعة لَهُ على سوء مُعَامَلَته، فَإِنَّهُ يحمد عَاقِبَة صبره ويفوز بِالْفَضْلِ فِي أمره وَلَا يكون مَا يَأْتِيهِ أَخُوهُ كَبِير تَأْثِير فِي حَاله.

.....

الإساءة تُقابل بالإحسان، هكذا علمنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وخصوصاً اذا كانت هذه المقابلة بين الأخ وأخيه في صلة النسب، وهذه تربية عظيمة من هذا العالم الجليل لولديه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقول في كتابه: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (١)} فما ينبغي أن تُقابل الإساءة إلا بإحسان وهذا هو الأصل، ولما كانت هذه الخصة قليل من يستمسك بها ويعمل بها قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٢)} ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

---

(١) – فصلت: (٣٤).

(٢) – فصلت: (٣٥).

الْعَلِيمُ [١]} يعني حتى صاحب الحظ العظيم قد ينزغه الشيطان، لكنه يذكر نفسه ويستعين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ [٢]» فهذا هو مراد الشيطان أن يحرِّش ويفرِّق بين الناس، وخصوصاً اذا كان فيما يتعلق بقرابة النسب.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

واعلما أَنِّي قد رَأَيْت جمَاعَة لم تكن لَهُم أَحْوَال وَلَا أقدار أَقَامَ أَحْوَالهم وَرفع أقدارهم اتِّفَاقهم وتعاضدهم وَقد رَأَيْت جمَاعَة كَانَت أقدارهم سامية وأحوالهم نامية محق أَحْوَالهم وَوضع أقدارهم اخْتِلَافهمْ فاحذرا أَن تَكُونَا مِنْهُم.

.....

وأي مفسدة حصلت كالتي حصلت في غزوة أُحد، وكلكم يعلم القصة، قال تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [٣]} فمنهم من يقول ننزل عن الجبل، ومنهم من يقول نبقى مكاننا، فهو خلاف ترتب عليه فشل وتنازع كما قال الله: {وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

---

(١) – فصلت: (٣٤-٣٥-٣٦).

(٢) – أخرجه: مسلم (٢٨١٢).

(٣) – آل عمران: (١٥٢).

وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [١]} فأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بأن يكونوا لحمة واحدة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [٢]} فجعلها منة منه سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فلا ينبغي إلا التعاضد، والتآلف، فيكونوا يداً واحدة على الخير وفي الخير.

---

(١) – الأنفال: (٤٦).

(٢) – آل عمران: (١٠٣).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

ثمَّ عَلَيْكُم بمواصلة بني أعمامكما وَأهل بيتكما وَالْإِكْرَام لَهُم والمواصلة لكبيرهم وصغيرهم والمشاركة لَهُم بِالْمَالِ وَالْحَال والمثابرة على مهاداتهم والمتابعة لزيارتهم والتعاهد لأمورهم وَالْبر لكبيرهم والإشفاق على صَغِيرهمْ والحرص على نَمَاء مَال غنيهم وَالْحِفْظ لعيبهم وَالْقِيَام بحوائجهم دون اقْتِضَاء لمجازاة وَلَا انْتِظَار مقارضة فَإِن ذَلِك مِمَّا تسودان بِهِ فِي عشيرتكما وتعظمان بِهِ عِنْد أهل بيتكما وصلا رحمكما وَإِن ضعف سَببهَا وقربا مَا بعد مِنْهَا واجتهدا فِي الْقيام بِحَقِّهَا وإياكما والتضييع لَهَا فقد رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ من أحب النسأ فِي الْأَجَل وَالسعَة فِي الرزق فَليصل رَحمَه. وَهَذَا مِمَّا يشرف بِهِ ملتزمه ويعظم عِنْد النَّاس معظمه وَمَا علمت أهل بَيت تقاطعوا وتدابروا إِلَّا هَلَكُوا وانقرضوا وَلَا، علمت أهل بَيت تواصلوا وتعاطفوا إِلَّا نموا وكثروا وبورك لَهُم فِيمَا حاولوا.

.....

تكلم رَحِمه الله عن صلة الرحم وفضلها، وأثرها وما يترتب عليها، وقضية صلة الرحم قضية عظيمة، أشرت إليها قبل قليل إشارة، فما ينبغي أن يكون عندك رحم قد جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لك نعمة ولا تصل هذه الرحم، وأسباب وطُرق صلة الرحم كثيرة اليوم، فمنهم من قد تصله برساله، ومنهم من قد تصله باتصال، ومنهم من قد تصله بزيارة، وما ينبغي للإنسان أن يترك نعمة أنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بها عليه،

فهي منة من الله أن جعل لك قرابة، قال تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (١)}

فهي نعمة من الله عليك، ويجب أن تقوم بحقها، وأن تصلها، فلا ينبغي التقاطع والتدابر بالشهور والسنين، ويزيد الأمر سوء اذا كان لأجل حظوظ الدنيا، والأسوأ أن يكون ذلك من أهل التَّدين، فكلن منا يراجع نفسه في صلة أرحامه، أعمامه، أخواله، عماته، خالاته ...إلخ، فينظر كيف حاله مع صلة رحمه.

(١) - محمد: (٢٢-٢٣).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

ثمَّ الْجَار عَلَيْكُمَا بحفظه والكف عَن أَذَاهُ والستر لعورته والإهداء إِلَيْهِ وَالصَّبْر على مَا كَانَ مِنْهُ فقد رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ لَا يُؤمن من لَا يَأْمَن جَاره بوائقه وَرُوِيَ عَنهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ مَا زَالَ جِبْرِيل يوصيني بالجار حَتَّى ظَنَنْت أَنه سيورثه، واعلما أَن الْجوَار قرَابَة وَنسب فتحببا إِلَى جيرانكما كَمَا تتحببان إِلَى أقاربكما ارعيا حُقُوقهم فِي مشهدهم ومغيبهم وأحسنا إِلَى فقيرهم وبالغا فِي حفظ غيبهم وعلما جاهلهم.

.....

الشريعة قد عظمت حق الجار، وعظمت هذه الشريعة منزلته في الاسلام، وحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «لا يؤمن الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ (١)» يدل على خطر هذه القضية، وعظم حق الجار في هذا الجانب، حيث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نفى عنه كمال الإيمان، وهذا يدلك على أن أذية الجار تدخل في كبائر الذنوب نسأل الله السلامة والعافية، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» فكأنه سيجعل له نصيباً من الميراث، والجار قد يكون له حق لأجل الجوار والنسب، وقد يكون له حق لأجل الجوار فقط، ويعظم حق الجار إما باعتبار وجود

(١) - أخرجه: البخاري (٦٠١٦) بلفظ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ». وأخرجه: مسلم (٤٦) بلفظ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

قرابة النسب، أو باعتبار قُرب الباب، فالجار القريب ليس كالجار البعيد، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقول في كتابه الكريم: {وَاعْبُدُوا اللهَّ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا [(١)]} فالجار ذي القُربى ليس كالجار الجُنب، والجار الجنب هو الذي فيه حق الجوار فقط دون حق النسب، وهنا مسألة مهمة وعظيمة؛ إن تأملت في وصية الباجي رَحِمه الله لولديه، وتأملت في حال كثير من البيوتات اليوم، وما يحصل فيها من إهمال تعليم الذرية والأولاد حق الجار ومنزلته ومكانته في شريعة الاسلام، فتجد أن الصبية يؤذون جيرانهم أذية بالغة دون توجيه أو تعليم من الوالدين، وهذا خطأ عظيم، حتى أنك تجد من الصبية من قد يُتلف مال الجار ومع ذلك تجد أحد الوالدين يتساهل في ذلك، ويقول هو صغير لا يقصد ويكتفي بذلك، واهل العلم مجمعون على أن ما أتلفه الصبي يجب ضمانه ولا يسقط إلا بإسقاط صاحب الحق له، وحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ» وذكر منهم: «وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ [(٢)]» هذا إنما هو في سقوط الإثم لا في سقوط الضمان، فيسقط الإثم لكن لا يعني ذلك بحال سقوط ضمان ما أتلفه الصبي، ومثل ذلك المجنون والنائم، وهذا باتفاق العلماء، فما ينبغي أن يكون

---

(١) – النساء: (٣٦).

(٢) – أخرجه: أبو داود (٤٤٠١).

هنالك إهمال في تربية الأبناء على حفظ حق الجار، وما يجب عليهم من حقوق الجوار، والله أعلم.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

ثمَّ من علمتما من إخْوَانِي وَأهل مودتي فَإِنَّهُ يتَعَيَّن عَلَيْكُمَا مراعتهم وتعظيمهم وبرهم وإكرامهم ومواصلتهم فقد رُوِيَ عَن عبد الله بن عمر أَنه حدث عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ إِن أبر الْبر أَن يصل الرجل أهل ود أَبِيه. ثمَّ إخوانكما عاملاهم بالإخلاص وَالْإِكْرَام وَقَضَاء الْحُقُوق والتجافي عَن الذُّنُوب والكتمان للأسرار، وإياكما أَن تحدثا أنفسكما أَن تنتظرا مقارضة مِمَّن أحسنتما إِلَيْهِ وأنعمتما عَلَيْهِ فَإِن انْتِظَار المقارضة تمسح الصنيعة وتعيد الْأَفْعَال الرفيعة وضيعة وتقلب الشُّكْر ذما وَالْحَمْد مقتا.

.....

والحديث الذي ذكره رَحِمه الله فيه قصة؛ وهي أن عبد الله بن دينار ذكر أن رجلاً لقي عبد الله بن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله بن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار: أصلحك الله إنهم الأعراب يرضون باليسير، فقال ابن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما: إن أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «إن أبر الْبر أَن يصل الرجل أهل ود أَبِيه» تأمل صنيع عبد الله بن عمر رَضِي اللهُ عَنْهُما مع هذا الرجل الذي كان والده من أهل ود أبيه عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ فكيف لو كان ذلك الرجل

من أهل ود أبيه رَضِي اللهُ عَنْهُما؟، فالإحسان الى من يحبه الأب شيمة عظيمة، وخلة جميلة، ينبغي العناية بها، وتربية الأولاد عليها، وكثير من الناس لا يحرص على أن يعرف أولاده أهل وده، وصحبته، ولا يعتني بذلك، ولا يهتم لذلك كثيراً، وهذا ينشأ عن مصاحبة الولد لوالده، ثم ينشأ عن تعليم الولد حق أهل ود الوالد، وما يترتب على ذلك، فاليوم تجد التقصير ليس من صغار السن بل تجد التقصير حتى من الرجال في هذا الجانب.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَلَا يجب أَن تعتقدا معاداة أحد واعتمدا التَّحَرُّز من كل أحد فَمن قصدكما بمطالبة أَو تكَرر عَلَيْكُمَا بأذية فَلَا تقارضاه جهدكما والتزما الصَّبْر لَهُ مَا استطعتما فَمَا الْتزم أحد الصَّبْر والحلم إِلَّا عز وَنصر وَمن بغي عَلَيْهِ لينصرنه الله وَقد اسْتعْملت هَذَا بِفضل الله مرَارًا فحمدت الْعَاقِبَة واغتبطت بالكف عَن المقارضة.

.....

أشار رَحِمه الله الى ما ينبغي أن يكونا عليه من الصبر، على ما قد يحصل من الأذية من الخلق، والصبر على أذى الخلق مطلب عظيم، ومقصد شرعي، ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول في الحديث: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ

الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ [١]» وقيل لأحمد بن حنبل: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل، فقال العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل.

والتغافل عما تجد من الأذية، والمطالبة بما لم يكن من الحق، يحتاج الى صبر ومجاهدة النفس، فالنفس دائماً ما تطلب دفع الأذى وكفه، لكن كثير من الناس يطلب كف ذلك الأذى برد الأذى، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كم أوذي، ولما كان يؤذى في الله كان يقول: «رَحِمَ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ [٢]» يُصبِّرُ نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأنت اذا اوذيت فصبِّر نفسك برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فهذا ينبغي أن يحرص عليه ويُربى الأولاد على ذلك، لما يترتب عليه من حُسن العاقبة بحول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ورحمه الله حين قال: وَقد اسْتعْملت هَذَا بِفضل الله مرَارًا فحمدت الْعَاقِبَة واغتبطت بالكف عَن المقارضة. فالإنسان يعفو ويصفح، ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول كما في صحيح مسلم: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ [٣]».

---

(١) - أخرجه: أحمد (٢٣٠٩٨)، والترمذي (٢٥٠٧)، والطيالسي (١٩٨٨)

(٢) - أخرجه: البخاري (٤٣٣٦).

(٣) - أخرجه: مسلم (٢٥٨٨).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَلَا تستعظما من حوادث الْأَيَّام شَيْئا فَكل أَمر ينقرض حقير وكل كَبِير لَا يَدُوم صَغِير وكل أَمر يَنْقَضِي قصير وانتظرا الْفرج فَإِن انْتِظَار الْفرج عبَادَة وعلقا رجاءكما بربكما وتوكلا عَلَيْهِ فَإِن التَّوَكُّل عَلَيْهِ سَعَادَة.

.....

التوكل؛ هو الأخذ بالأسباب، مع عدم الالتفات إليها، وعدم الاعتماد عليها؛ فيعمل بالسبب لكن لا يلتفت إليه ولا يعتمد عليه، فالتوكل ليس فيه ترك للأسباب، وليس فيه اعتماد على الأسباب، بل الاعتماد على مُسبب الأسباب رب الأرض والسماوات سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وكثير من الناس اذا حصل له كرب أو بلاء يستعظمه ويجعله ذلك يجزع ولا يتصبَّر، وحال المؤمن ينبغي أن يكون بالصبر مع الرضا، ورجاء انكشاف البلاء، هكذا ينبغي أن يكون المؤمن، ولا يكون راضياً بحصول ذلك البلاء ولا يريد انكشاف البلاء عنه، لأن النفس تطلب راحتها وسعادتها وانكشاف البلاء عنها، لكن ينبغي أن يكون ذلك مع الصبر وحسن الظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى يكون له أسوة في ذلك، ويربي أبنائه على ذلك، ويعقوب عليه السلام لما فقد ابنه يوسف صلوات الله وسلامه عليه قال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١)} ولما فقد أخاه قال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ

---

(١) - يوسف: (١٨).

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [١]} وقيل أنه فقد يوسف أربعين سنة، وكان حسن الظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، متوكلاً على ربه في ذلك، وعاد إليه يوسف وأخيه، فنعلم أولادنا ذلك ونربيهم عليه، فلعلم يحتاجون في يومٍ ما الى مثل ذلك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقول: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [٢]} ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا [٣]} وقال بعض أهل العلم: لو دخل العسر جحر ضبٍ لدخل إليه اليسر في ذلك الجحر.

---

(١) – يوسف: (٨٣).

(٢) – الشرح: (٥-٦).

(٣) – الطلاق: (٧).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

واستعينا بِالدُّعَاءِ والجآ إِلَيْهِ فِي البأساء وَالضَّرَّاء فَإِن الدُّعَاء سفينة لَا تعطب وحزب لَا يغلب وجند لَا يهرب، وإياكما أَن تستحيلا عَن هَذَا الْمَذْهَب أَو تعتقدا غَيره أَو تتعلقا بسواه فتهلكا وتخسرا الدّين وَالدُّنْيَا وَرُبمَا دعوتما فِي شَيْء فنالكما مَعَ الدُّعَاء معزة أَو وصلت إِلَيْكُمَا معرة فازدادا حرصا على الدُّعَاء ورغبة فِي الْإِخْلَاص والتضرع والبكاء فَإِن مَا نالكما من الْمضرَّة بِمَا سلف من ذنوبكما واكتسبتماه من سيئ أعمالكما وَمَعَ ذَلِك فَالَّذِي ألهمكما إِلَى الدُّعَاء ووفقكما لَا بُد أَن يحسن الْعَاقِبَة لَكمَا وَقد نجاكما بدعائكما عَن الْكثير وَصرف بِهِ عنكما من الْبلَاء الْكَبِير

.....

أوصاهما بالدعاء، واللجأ الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والحرص على ذلك، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا " قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ [1]» فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يحب أن يسمع الدعاء، والرجاء، والتضرع إليه، ويحب أن يكون حال العبد في ذلك سواء كان في السَّراء، أو كان في الضرَّاء، وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ

(١) - أخرجه: أحمد (١١١٣٣)، وصححه الألباني في: «صحيح الأدب المفرد» (٥٥٠).

اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ [١]» ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان كذلك في غزوة أحد لما كان يدعو حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، وكان يقول: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ [٢]» تضرع، وصدق، ولجأ الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وإخبات وهكذا ينبغي ولا يقنط العبد إن لم يجد استجابة لدعائه من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى، فكما في الحديث الذي ذكرناه لعل الله قد ادخر له خيراً مما دعا به، والعبد لا يزال يحتاج ويفتقر الى الدعاء، بل الصالح المعافى من البلاء أحوج الى التضرع من العبد الذي ابتلاه الله، اسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يكشف عنا وعنكم كل كرب، وأن يعافيني وإياكم من كل سوء ومكروه، والله أعلم.

---

(١) - أخرجه: أحمد (٢٨٠٣).

(٢) - أخرجه: مسلم (١٧٦٣).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَإِذا أنعم عَلَيْكُمَا رَبكُمَا بِنِعْمَة فتلقياها بالإكرام لَهَا وَالشُّكْر عَلَيْهَا والمسامحة فِيهَا واجعلاها عونا على طَاعَته وسببا إِلَى عِبَادَته

والحذر الحذر من أَن تهينا نعْمَة رَبكُمَا فتترككما مذمومين وتزول عنكما ممقوتين رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ يَا عَائِشَة أحسني جوَار نعم الله تَعَالَى فَإِنَّهَا قل مَا زَالَت عَن قوم فَعَادَت إِلَيْهِم

وإياكما أَن تطغيكما النِّعْمَة فتقصرا عَن شكرها أَو تنسيا حَقّهَا أَو تظنا أنكما نلتماها بسعيكما أَو وصلتما إِلَيْهَا باجتهادكما فتعود نقمة مؤذية وبلية عَظِيمَة.

.....

المصنف رَحِمه الله تعالى، انتقل الى الكلام على النعم، وأهل الإيمان لا شك أن لهم أحوالاً مع النعم، تستدعي طلب بقائها وثبوتها، وهم في ذلك يجمعون ثلاثة أمور:

- أوَّلها: اعترافٌ بالنعمة.
- وثانيها: التحدث بها والثناء بها على الله عز وجل.
- وثالثها: الاستعانة بها على الطاعة.

ويدخل في ضمن التحدث بالنعم، والثناء على الله بها؛ نسبتها الى مُعطيها عز وجل، فإن مثل هذا هو الذي تدوم به النعم على العباد، ولا بُد من وجود هذه الثلاث حتى يصح للعبد شكر نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى.

ولذلك يقول أهل العلم: «الشكر قيد للنعمة الموجودة، وصيد للنعمة المفقودة» قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [١]} فلا بُد من شكر النعم، فإن شكرها يستجلب غيرها، والنعم اذا زالت عن العبد فإنها قل ما تعود إليه، ومن دعاء نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ [٢]» وينبغي علينا أن نعلم أولادنا مثل هذه الأدعية العظيمة، وقبل ذلك أن نعلمهم نسبة هذه النعم الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وخطورة أن يكون العبد في نعمة ثم يغفل عن أداء شُكرها لله عز وجل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى اذا أعطى للعبد نعمة ثم لم يشكرها حولها الى غيره، وهذا من البلاء العظيم نسأل الله السلامة والعافية.

والحديث الذي ذكره المصنف لا يثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. والله أعلم.

---

(١) – إبراهيم: (٧).

(٢) – أخرجه: مسلم (٢٧٣٩).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وعليكما بِطَاعَة من ولاه الله أمركما فِيمَا لَا مَعْصِيّة فِيهِ لله تَعَالَى فَإِن طَاعَته من أفضل مَا تتمسكان بِهِ وتعتصمان بِهِ مِمَّن عاداكما. وإياكما والتعريض للْخلاف لَهُم وَالْقِيَام عَلَيْهِم فَإِن هَذَا فِيهِ العطب العاجل والخزي الآجل وَلَو ظفرتما فِي خلافكما ونفذتما فِيمَا حاولتما لَكَانَ ذَلِك سَبَب هلاككما لما تكسبانه من المآثم وتحدثان على النَّاس من الْحَوَادِث والعظائم. ثمَّ من سعيتما لَهُ ووثقتما بِهِ لَا يقدم شَيْئا على إهلاككما والراحة مِنْكُمَا فَإِنَّهُ لَا يَأْمَن أَن تحدثا عَلَيْهِ مَا أحدثتما لَهُ وتنهضان بِغَيْرِهِ كَمَا نهضتما بِهِ، فالتزاما الطَّاعَة وملازمة الْجَمَاعَة فَإِن السُّلْطَان الجائر الظَّالِم أرْفق بِالنَّاسِ من الْفِتْنَة وانطلاق الْأَيْدِي والألسنة.

.....

انتقل رَحِمه الله الى مسألة عظيمة ومُهمة، وخصوصاً يا إخوة في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن، والحوادث التي راح ضحيتها كثير من أهل الاسلام بدعاة فتنة كانوا، وبعضهم لازالوا وقوداً لنار الفتن، ساعين في استعار شررها، نسأل الله السلامة والعافية، وهم يرون بذلك أنهم قد أصلحوا.

وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١)} وهذا بلا شك من أعظم

(١) - البقرة: (١١-١٢).

الإفساد الذي يترتب عليه ضياع ما تصان به الدماء، وما تُحفظ به الأعراض، والأموال، وتصان به العقول والأنفس، فيحصل بذلك الضرر العظيم، والبلاء الجسيم على أهل الاسلام، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقول في كتابه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [١]} فالله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد جعل طاعة ولاة الأمر تبعاً لطاعته عز وجل، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ [٢]» والأحاديث التي أمر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالسمع والطاعة هي ما كان في المنشط وفي المكره، وفي العسر وفي اليسر، وفي المحبة وفي الكره، على كل الأحوال وجميعها، وكذلك أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالسماع وقال: اسمعوا وأطيعوا؛ فهو أمر بسماع الأمر والنهي، من ولاة الأمر، وأمر بالتزام هذا الأمر وهذا النهي وعدم مخالفته، وهذا بلا شك يقتضي الاحترام والتوقير كما في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ [٣]» وكثير من الناس تراه يغفل عن قضية عظيمة، ويظن أن بعض الكلمات التي يتلفظ بها في بعض المجالس من التعرض لولاة الأمر أو من ولاه ولاة

---

(١) – النساء: (٥٩).

(٢) – أخرجه: أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

(٣) – أخرجه: أبو داود (٤٨٤٣).

الأمر على بعض مصالح المسلمين أن في ذلك إخراجاً لغيض القلب وحنقه، لكن لا يتفطن ذلك المُتحدث لما قد يُزرع في نفوس الناس وخصوصاً اذا كانوا من الصبية والصغار، من المفاسد العظام، والتي ربت عليه الجماعات الصغار في ملتقياتها ومكتباتها ومنتدياتها، فربوهم على الطعن في ولاة الأمر وإشباع مسامعهم بذم ولاة الأمر ورفع شأن مناقصهم ومثالبهم، والحط من قدر فعالهم الحميدة وما يفعلونه من الأمور الحسنة، فيشب ذلك الطفل ويكبر على سماع مثالب ولاة الأمر، ومثالب من ولاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على المسلمين، وكذلك من جعله ولاة الأمر على مصالح المسلمين، فيظهر الحنق الذي يكون في القلب وترتب على ذلك المفاسد العظام، وهذا يا إخوة والله ما نقوله طمعاً في دنيا، ولا رغبة في شيء من حطامها، بل هذا دين ندين لله عز وجل به ونعتقده، ولذلك يجب يا إخوة أن ينشأ الإنسان ويُنشِّئ من خلفه على الثناء على ولاة الأمر والتعرض لهم بالخير، دون التعرض لهم بالشر، ودون التعريض بهم بما لا يرضاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً [١]»

وثبت عن وائل بن حجر رَضِي اللهُ عَنْهُ أنه قال: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ -يسأله عن ظلم ولاة الأمر- فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ،

---

(١) - أخرجه: البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ [١]» وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ [٢]» وهذه أحاديث صحاح، ينبغي على الإنسان الصبر إن رأى ما يريبه من ولي أمره، ولعل له عذراً في ذلك لا يدركه الإنسان، ولا يتفطن له، ولعل بعض ما يفعله ولاة الأمر مما تظن أنه مُنكر، يرون فيه مصلحة فيها صون الدماء والأعراض والأموال، وكثير ممن لم يصل الى المناصب التي تتعلق بإدارة شؤون البلاد ونحو ذلك يستسهل الكلام، فلما يوكل بشيء من مصالح المسلمين يعلم خطورة المسألة وثقل شأنها، نسال الله أن يعافينا.

---

(١) - أخرجه: مسلم (١٨٤٦).

(٢) - أخرجه: البخاري (٧٠٥٢).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

فَإِن رَبكُمَا أَمر مِمَّن ولي عَلَيْكُمَا أَو وصلت مِنْهُ أذية إِلَيْكُمَا فاصبرا وانقبضا وتحيلا لصرف ذَلِك عنكما بالاستنزال وَالِاحْتِمَال والإجمال وَإِلَّا فاخرجا عَن بَلَده إِلَى أَن تصلح لَكمَا جِهَته وتعود إِلَى الْإِحْسَان إِلَيْكُمَا نِيَّته. وإياكما وَكَثْرَة التظلم مِنْهُ والتعرض لذكره بقبيح يُؤثر عَنهُ فَإِن ذَلِك لَا يزِيدهُ إِلَّا حنقا وبغضة فيكما ورضا بإضراره بكما.

.....

الاستنزال؛ أي طلب النزول عن الحق.

الاحتمال؛ أن يتحمل الإنسان ما قد يحصل له.

الإجمال؛ أي الاعتدال، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ [١]».

ورحم الله أبا الدرداء حين قال: «وَإِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ الـمَرْءِ طَعْنُهُ عَلَى إِمَامِهِ [٢]» فعودوا الأبناء على سماع الجميل من ذكر ولاة الأمر، والذكر الحسن الذي يترتب عليه صدق الولاء لله عز وجل، ولمن ولاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى على المسلمين، لذلك رأى بعض أهل

---

(١) - أخرجه: ابن ماجه (٢١٤٤).

(٢) - عند البيهقي في: «الشعب» ().

العلم أن من تكلم في إمام من أئمة المسلمين فإنه تلزمه العقوبة الشديدة، وذهب بعض المالكة الى أنه يُحبس شهراً على كلامه في ولاة الأمر، نسأل الله أن يعيننا على أداء حقه.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وابدآ بعد سد هَذِه الْأَبْوَاب عنكما بترك مُنَافَسَة من نافسكما ومطالبة من طالبكما فَإِنَّهُ قد يبْدَأ بِهَذِهِ الْمعَانِي من يعْتَقد أَنه لَا يتَوَصَّل مِنْهَا إِلَى مَحْظُور وَلَا يتشبث مِنْهَا بمكروه ثمَّ يُفْضِي الْأَمر إِلَى مَا لَا يُريدهُ وَلَا يعتمده من مُخَالفَة الرئيس الَّذِي يقهر من ناوأه ويغلب من غالبه وعاداه

وَإِن رأيتما أحدا قد خَالف من ولي عَلَيْهِ أَو قَامَ على من أسْند أمره إِلَيْهِ فَلَا ترضيا فعله وانقبضا مِنْهُ وأغلقا على أنفسكما الْأَبْوَاب واقطعا بَيْنكُمَا وَبَينه الْأَسْبَاب حَتَّى تنجلي الْفِتْنَة وتنقضي المحنة.

.....

وبلا شك، منافسة السلطان في ملكه هذا مما نهت عنه الشريعة، اذا كانت الشريعة قد نهت عن طلب الملك أصلاً، وعن طلب الإمارة، كما جاء في حديث عبد الرحمن بن سَمُرَةَ، عند مسلم وغيره، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا[1]» فمن طلب الإمارة لا يُعان عليها، ومن أتته دون طلب منه

(١) - أخرجه: مسلم (١٦٥٢).

أعين عليها، فكيف يذهب الإنسان ويُنافس السلطان على مُلكه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى قد نهى عن ذلك، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ[١]».

ويجب أن يُعلم الأبناء مثل هذه الأمور، وخصوصاً ما يتعلق بالأحزاب، والجماعات، والفرق، وفي كل يوم تنبت لنا نابتة جديدة منها تدعوا الى منازعة السلطان ومنازعة ولي الأمر وهي كثيرة، فنبهوهم وحذروهم من هذه الجماعات بأسمائها وأوصافها ومعتقداتها، للبعد عنها؛ عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه، ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه.

---

(١) - أخرجه: مسلم (١٨٥٢).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وإياكما والاستكثار من الدُّنْيَا وحطامها وعليكما بالتوسط فِيهَا والكفاف الصَّالح الوافر مِنْهَا فَإِن الْجمع لَهَا والاستكثار مِنْهَا مَعَ مَا فِيهِ من الشّغل بهَا والشغب بِالنّظرِ فِيهَا يصرف وُجُوه الْحَسَد إِلَى صَاحبهَا والطمع إِلَى جَامعهَا والحنق على الْمُنْفَرد بهَا، فالسلطان يتَمَنَّى أَن يزل زلَّة يتسبب بهَا إِلَى أَخذ مَا عظم فِي نَفسه من مَاله وَالْفَاسِق مرصد لخيانته واغتياله والصالح ذام لَهُ على استكثاره مِنْهُ واحتفاله، يخَاف عَلَيْهِ صديقه وحميمه ويبغضه من أَجله أَخُوهُ شقيقه إِن مَنعه لم يعْدم لائما وَإِن بذله لم يجد رَاضِيا.

.....

وهذا في الاستكثار من المال، ومن الدنيا، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ [1]» الدنيا إن اسرعت في طلبها أسرعت عنك، وكلما جد الإنسان في طلب الدنيا جدت في الإسراع والهروب منه، ولا يكاد يدركها طالبها، بل لا يمكن أن يدركها طالبها، مهما اجتهد في طلبها، فالانسان يجعل الدنيا أمامه وهو يجري خلفها، وخلفه يجري قدره وأجله، ولا يدري متى يدركه ذلك الأجل والأجل اسرع إليك من اسراعك الى الدنيا، وهو أقرب إليك من قربك الى الدنيا، والانسان وإن كان قد حصل

---

(١) - أخرجه: الترمذي (٢٤٦٥).

له نوع من الغنى من المال أو الرزق الذي قد يوسع له فيه، فهذا بأصله ليس بمذموم، ولكن أن تُجعل الدنيا هماً وأن تُملئ القلوب بالدنيا، هذا الذي ذمته الشريعة ونهت عنه، وكلما كان العبد حريصاً على دنياه، وعلى الاستكثار من المال، جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى هماً وغماً على ذلك العبد حتى أنه يدرك في آخر حياته أنه سعى طوال هذه السنين في طلب أمر لم يكن له أن يدرك غايته ونهايته، ومن أعظم ما يوصى به الأبناء ويعلموا عليه، وهو من أكثر الأشياء التي يشتكي منها الوالدان؛ أن يحجز الأب أو الأُم الولد عن الحرام رغبة في إصلاحه وحسن تربيته، ومع ذلك ترى ذلك الولد يطلع على الحرام ويرى نقصاً في حياته مما يطلع عليه من أحوال الناس وترفهم، فمن أعظم ما يُربى عليه الأبناء: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١)} فيربون على مثل هذه الآية العظيمة، فالدنيا زهرة لكنها زائلة ما تبقى، ولذتها زائلة ولو بعد حين، والذي يبقى ذُخراً للعبد هو عمله الصالح، ونأيه وبعده عن الدنيا وملذاتها طاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والإنسان يقصد أن يرفه عن نفسه، أو يخفف عن نفسه من استدامة الطاعة، والانسان قد يشعر بالملل أحياناً، وجاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قوله: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ،

---

(١) - طه: (١٣١).

وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فَلَا تَعُدُّوهُ [١]» فالإنسان بين جدٍ وبين فتور في العبادة، وهذا حاصل، فيحتاج الى بعض الأمور التي يلتفت إليها، وأحسن ما يصنعه العبد أن يكون ذلك فيما يكون قربة الى الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى في ذاته، وأيضاً لذة يجدها العبد في نفسه، وبعض الناس قد يرى أن لذة جلوسه مع أبنائه لا تساويها لذة أُخرى، أو خروجه في نزهة قد يخفف عنه شيء من هم وغم الدنيا، والناس تتفاوت في مثل هذا، لكن ربوا أبنائكم على هذا الأمر وذكروهم كلما طلبوا منكم شيء من ملذات الدنيا بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ}.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَمن رزق مِنْكُمَا مَالا فَلَا يَجْعَل فِي الْأُصُول إِلَّا أَقَله فَإِن شغبها طَوِيل وصاحبها ذليل وَهِي لَيست بِمَال على الْحَقِيقَة إِن تغلب على الْجِهَة عَدو حَال بَينه وَبَينهَا وَإِن احْتَاجَ إِلَى الِانْتِقَال عَنْهَا تركهَا أَو ترك أَكْثَرهَا.

.....

وأهل العلم مختلفون؛ هل الأفضل أن يجعل المال في العقار، أو في غيره، وكثير من أهل العلم يرى أن الأفضل جعله في العقار، ووردت في ذلك أحاديث عند ابن ماجه رَحِمه الله ضعيفة، ويحسنا بعض أهل العلم، لكن الصواب أنها ضعيفة وفي إسنادها

---

(١) - أخرجه: الترمذي (٢٤٥٣).

متروك، والأصل أن الإنسان يستكثر مما يراه صالحاً له في دينه وفي دنياه، لكن عموماً تربية الأبناء على طلب الرزق الحلال هذا هو المقصد.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَمن احْتَاجَ مِنْكُمَا فليجمل فِي الطّلب فَإِنَّهُ لَا يفوتهُ مَا قدر لَهُ وَلَا يدْرك مَا لم يقدر لَهُ وَقد ذكر الله تَعَالَى مَا وعظ بِهِ العَبْد الصَّالح ابْنه فِي مثل هَذَا فَقَالَ {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١)}.

.....

فقد تمر بالانسان ضائقة، والواجب عليه أن يُجمل في الطلب كما صح الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ» وقد مر معنا، والمراد الاعتدال في طلب الرزق، وإن ابتُلي بشيء من الفقر والمسكنة فليسعى في رفع ذلك ودفعه، وليس على الإنسان أن يسعى في رفع الفقر والمسكنة في ذاتها، بل الأصل الذي يحتاج إليه الإنسان هو دفع حاجته الى الخلق والعباد، فيقتصر على حاجته الى ربه، ويستغني عن سؤال الخلق، والحاجة أليهم، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي

---

(١) - لُقمان: (١٦).

زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ [١]» وقد مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ودرعه مرهونة عند يهودي، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يجد ماء يملأ به بطنه، ولم يأكل في المدينة حتى مات خبزاً مرققاً قط، وكان يمر عليه الهلال والهلالان وليس في بيته إلا التمر والماء، صلوات الله وسلامه عليه، فالمقصد أن يدفع الإنسان عن نفسه حاجته الى الخلق.

(١) - أخرجه الترمذي (٢٣٥٢).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

واجتنبا صُحْبَة السُّلْطَان مَا استطعتما وتحريا الْبعد مِنْهُ مَا أمكنكما فَإِن الْبعد مِنْهُ أفضل من الْعِزّ بِالْقربِ مِنْهُ فَإِن صَاحب السُّلْطَان خَائِف لَا يَأْمَن وخائن لَا يُؤمن ومسيء إِن أحسن يخَاف مِنْهُ وَيخَاف بِسَبَبِهِ ويتهمه النَّاس من أَجله إِن قرب فتن وَإِن أبعد أَحْزَن يحسدك الصّديق على رِضَاهُ إِذا رَضِي ويتبرأ مِنْك ولدك ووالداك إِذا سخط وَيكثر لائموك إِذا منع ويقل شاكروك إِذا شبع فَهَذِهِ حَال السَّلامَة مَعَه وَلَا سَبِيل إِلَى السَّلامَة مِمَّن يَأْتِي بعده، فَإِن امتحن أَحدكُمَا بِصُحْبَتِهِ أَو دَعَتْهُ إِلَى ذَلِك ضَرُورَة فليتقلل من الْمَال وَالْحَال وَلَا يغتب عِنْده أحدا وَلَا يُطَالب عِنْده بشرا وَلَا يعْص لَهُ فِي الْمَعْرُوف أمرا وَلَا يستنزله إِلَى مَعْصِيّة الله تَعَالَى فَإِنَّهُ يَطْلُبهُ بِمِثْلِهَا وَيصير عِنْده من أَهلهَا وَإِن حظي عِنْده بِمِثْلِهَا فِي الظَّاهِر فَإِن نَفسه تمقته فِي الْبَاطِن.

.....

ذكر صحبة السلطان، وبنا هذا الأصل على ما ثبت في الحديث الصحيح من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ [١]» الإنسان اذا تأمل في سلاطين الأُمة وولاة أمر الاسلام، فأولهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وثانيهم الصديق رَضِي اللهُ عَنْهُ، وثالثهم عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ، ورابعهم عثمان رَضِي اللهُ عَنْهُ، وخامسهم علي رَضِي اللهُ عَنْهُ، وهكذا.. كانوا ولاة أمر لأُمة الاسلام وكان لهم مقربون إما من

(١) - أخرجه أبو داود (٢٨٥٩)، والترمذي (٢٢٥٦) واللفظ له.

أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، أو من جاء بعدهم من التابعين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وإذا كان السلطان صالحاً فلا يُرَغَّب في البعد عنه والنأي عنه، إلا اذا كان القرب منه لأجل الدنيا وحُطامها، فلا بأس أن يأتي الإنسان لباب السلطان لرفع مظلمة، أو سداد دين، ونحو ذلك، لكن أن يأتي الإنسان أبواب السلطان طلباً للاستكثار من الدنيا وحُطامها، أو رغبة في الجاه والمنصب فهذا هو المذموم في الشريعة، وإلا إن جاء الإنسان الى السلطان لحاجة صادقة، أو لأجل أمر ديني شرعي، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ [(١)]» فذكر النصيحة لأئمة المسلمين، فقد يأتي الإنسان الى ولي الأمر ناصحاً له وفق ما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى به من الأدب والتوقير، دون انتقاص وتهوين وتشهير، فالنصح للسلطان لا يكون على ملأ بل تكون بينك وبينه، فهذا لا يُذم، بل قد يكون مطلوباً كما ذكرنا، وأما المذموم فهو أن تأتي أبواب السلطان للاستكثار من حطام الدنيا، أو لا تأمن على نفسك الفتنة، أو تأتي الظلمة من السلاطين فهذا الذي يُذم.

أسأل الله أن يحفظ ولاة أمرنا، وأن يعيننا على حسن الولاء لهم.

---

(١) - أخرجه: مسلم (٥٥).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَلَا يرغب أَحَدكُمَا فِي أَن يكون أرفع النَّاس دَرَجَة وأتمهم جاها وَأَعْلَاهُمْ منزلَة فَإِن تِلْكَ حَال لَا يسلم صَاحبهَا ودرجة لَا يثبت من احتلها

وَأسلم الطَّبَقَات الطَّبَقَة المتوسطة لَا تهتضم من دعة وَلَا ترمق من رفْعَة وَمن عيب الدرجَة الْعليا أَن صَاحبهَا لَا يَرْجُو الْمَزِيد وَلكنه يخَاف النَّقْص والدرجة الْوُسْطَى يَرْجُو الازدياد وَبَينهَا وَبَين المخاوف حجاب

فاجعلا بَين أيديكما دَرَجَة يشْتَغل بهَا الحسود عنكما ويرجوها الصّديق لَكمَا.

.....

فالمقصد أن يكون الإنسان وسطاً في حاله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقول: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا [١]} ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا [٢]} الله أمرنا بالوسطية، والاعتدال في شأن العبد كله، وأن لا نجنح الى طرف فيه زيادة لا يُبتغى طلبها، ولا الى نقصٍ لا يُحمد فاعله، وهذا مما ينبغي أن يُعتنى به.

وعلى العبد أن ينظر دائماً في حال من هو دونه، كما في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا

---

(١) – الإسراء: (١١٠).

(٢) – الإسراء: (٢٩).

تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ [١]» فالإنسان قد يُنعم الله عليه لكنه ينظر الى من هو فوقه، ويغفل عمن هو دونه وأقل منه حظاً من الدنيا، فيرى أنه في نقص وقِلَّة، بينما هو في نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى {وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} وقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ [٢]} قسمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى بما يصلح لك، وهو عليم بما يصلح لك، وبما لا يصلح لك، وكثير من الناس اذا فاته حظ من الدنيا نعى نفسه وارتاب، وظن بالله السوء نسأل الله السلامة والعافية، وطلب الرزق فيما لا يحله الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول في الحديث الصحيح: «أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ،

---

(١) – وهذا لفظ مسلم (٢٩٦٣)، وجاء عند البخاري (٦٤٩٠):«إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»، وجاء في البخاري (٢٨٨٧):عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ» وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ» أخرجه البخاري (٤٤٢).

(٢) – الزخرف: (٣٢).

وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ [١]» وقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [٢]} فلا يطلب العبد العلو، أين كان نوع هذا العلو، إلا أن يكون ذلك مسابقة الى مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [٣]} فهذا الذي يسارع ويبادر إليه الإنسان، والأبناء اذا رُبوا على ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يلتفت الى المال، واذا جاءه المال كان كما قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا [٤]» فالمال يطلبه العبد لا تكثُّراً فيه بل طلباً للكفاف والغنى عن الناس،

---

(١) – هكذا في: «مُصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٣٣٢)، وأخرجه البزار (٢٩١٤)، وأبو نعيم في: «الحلية» (١٠/ ٢٦)، وفي: «أمالي ابن بشران» (١٤١١)، وحسنه الألباني في: «الصحيحة» (٢٨٦٦).

(٢) – القصص: (٨٣).

(٣) – آل عمران: (١٣٣).

(٤) – أخرجه: مسلم (٢٣١٢).

حتى يغنيه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى عن طلب الخلق، وحتى ينفق هذا المال في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى وفي مرضاته، وكان ابن المُبارك رَحِمه الله غنياً وسع الله عليه في رزقه، وكان يجعل ماله في أهل الحديث وطُلابه، فيبارك له في ذلك المال، وعلى ما كان فيه من الغنى كان يضرب فيه المثل في الزهد من الدنيا.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وَلَا يطْلب أَحدكُمَا ولَايَة فَإِن طلبَهَا شين وَتركهَا لمن دعِي إِلَيْهَا زين فَمن امتحن بهَا مِنْكُمَا فلتكن حَاله فِي نَفسه أرفع من أَن تحدث فِيهِ بأوا أَو يُبْدِي بهَا زهوا وليعلم أَن الْولَايَة لَا تزيده رفْعَة وَلكنهَا فتْنَة ومحنة وَأَنه معرض لأحد أَمريْن إِمَّا أَن يعْزل فَيَعُود إِلَى حَالَته أَو يسيء اسْتِدَامَة ولَايَته فيقبح ذكره ويثقل وزره وَإِن اسْتَوَت عِنْده ولَايَته وعزله كَانَ جَدِيرًا أَن يستديم الْعَمَل فَيبلغ الأمل أَو يعْزل لإِحسانه فَلَا يحط ذَلِك من مَكَانَهُ.

.....

طلب المناصب والجاه، والفخر بها، هذا حتى في الأمور التي قد لا يلتفت إليها الناس، فالمسألة ليست فقط ولاية أمر المسلمين بل حتى فيما هو دون ذلك، فقد يبتلى الإنسان بمنصب في مؤسسة أو جهة عمل، فكل هذا لا يُطلب طلباً ما لم يكن العبد كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ

عَلِيمٌ[١]} طلبها وهو يعلم أنه يصلح لذلك، وأن وجوده في مثل هذا المنصب يكون صلاحاً لحال الناس، لهذا طلبها يوسف عليه السلام، ولم يطلبها لأجل الجاه والمكانة، وكذا كل من كان في أي جهة عمل فليجعل هذا الأمر نصب عينيه، فالدنيا فتنة، فلا يُطلب العلو في الأرض، بل يُطلب ما يقرب العبد الى الله، ويسمو به وترتفع منزلته عند ربه سُبْحَانَهُ وَتَعالى لا عند الناس، وذكر الناس يفنى، وكم من إنسان مات فمات ذكره، حتى وهو عبد صالح، لكن الذي يبقى هو ذكرك عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وأن تبقى لك المنزلة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى فهذا هو الذخر، وهذا الذي يسعى العبد في طلبه.

---

(١) - يوسف: (٥٥).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

وأقلا ممازحة الإخوان وملابستهم والمتابعة فِي الاسترسال مَعَهم فَإِن الْأَعْدَاء أَكثر مِمَّن هَذِه صفته وَقل من يعاديك مِمَّن لَا يعرفك وَلَا تعرفه، فَهَذَا الَّذِي يجب أَن تمتثلاه وتلتزماه وَلَا تتركاه لعرض وَلَا لوجه طمع فَرُبمَا عرض وَجه أَمر يروق فيستزل عَن الْحَقَائِق بِغَيْر تَحْقِيق وَآخره يظْهر من سوء الْعَاقِبَة مَا يُوجب النَّدَم حَيْثُ لَا ينفع ويتمنى لَهُ التلافي فَلَا يُمكن.

.....

وصَّاهما بتقليل المزاح، وعدم الإكثار منه، والمزاح مطلوب، والضحك مطلوب، لكن الذي يُنهى عنه: كثرته، فكثرته لا بُد وأن يظهر معها شيء من الخطأ ومفارقة الصواب، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نهى أصحابه رَضِي اللهُ عَنْهُم عن كثرة الضحك فقال: «لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ [(١)]» وأعظم عقوبة يُعاقب بها العبد: أن يموت قلبه؛ فلا يدكر عند الآيات والأحاديث، ولا يرجع اذا ذُكِّر، ويكون قلبه صلداً نسأل الله السلامة والعافية، ولا تنفذ فيه رُقى القرآن، ولا الى مسامعه حجاج القرآن وآياته وما فيه ممن الأدلة والبراهين، ولا تؤثر فيه، ويرى أنها إنما تكون كالعرض الذي يمر بالعبد، والله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يقول: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ

(١) - أخرجه: الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤١٩٣) وحسنه الألباني في: «صحيح الأدب المُفرد» (٢٥٢/ ١٩٠).

وَعِيدِ [١]} وقال سُبْحَانَهُ وَتَعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [٢]} فليس كل أحد يتذكر بآيات القرآن، وبمواعظ القرآن والسنة، هذا لمن لان قلبه، وكثرة الضحك تخالف ذلك وتنازعه، وتعارضه حتى أن الإنسان يطلب صلاح قلبه فيجد من اللهو والضحك ما يزيل عنه خشوع الإيمان ورقة القلب، فكثرة المزاح تقودك الى أحد أمرين: إما الى قسوة قلب، وإما الى خُسران الصحبة أنت أحوج ما تكون إليها، وكان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يضحكون حتى إن الرجل منهم يسقط على الأرض من شدة الضحك، وكان يرمي بعضهم بعضاً بالبطيخ، فما نهت الشريعة عن المزح ولا عن الضحك، لكن نهت أن يكون عامة حال العبد لهو ولعب وضحك، وهذا مؤثر أيضاً في مروءة الإنسان.

---

(١) – ق: (٤٥).

(٢) – الذاريات: (٥٥).

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى:

فَإِن فقدتما وصيتي هَذِه ونسيتما مَعْنَاهَا فعليكما بِمَا ذكر الله تَعَالَى فِي وَصِيَّة لُقْمَان لِابْنِهِ فَإِن فِيهَا جماع الْخَيْر وَهِي {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [1] }.

وَإِنِّي لأوصيكما وَأعلم أَنِّي لن أُغني عنكما من الله شَيْئا إِن الحكم إِلَّا لله عَلَيْهِ توكلت وَعَلِيهِ فَليَتَوَكَّل المتوكلون وَهُوَ حَسبنَا وَنعم الْوَكِيل.

كملت الْوَصِيَّة الْمُبَارَكَة وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين وصل الله على سيدنَا ومولانا مُحَمَّد خَاتم النَّبِيين وَآله الطيبين وصحابته المنتجبين وَسلم تَسْلِيمًا كثيرا إِلَى يَوْم الدّين وَذَلِكَ فِي يَوْم الْخَمِيس السَّابِع لشهر ذِي حجَّة مختتم عَام تِسْعَة وَأَرْبَعين وَسَبْعمائة.

.....

لُقمان عليه السلام، أوصى ابنه وصية جامعة للخير، وهي وصية في حق الله عز وجل، وفي حق النفس، وفي حق الخلق، فأمره بحق الله عز وجل، وأمره بحق نفسه، وأمره بحق الخلق، وكثير من المعاملات التي تكون بين العبد وبين الخلق عائدة الى حق النفس، وأمره بالصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، والحاصل والمقصود؛ أن

---

(١) - لُقمان: (١٧-١٨-١٩).

الإنسان يجعل لبنيه ذكرى يتذكرون بها، ويرجعون إليها، وهذه الوصية التي كتبها المصنف رَحِمه الله لازالت تُقرأ الى يومنا هذا ويستفيد منها الناس، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن ينفعنا بها.

وأشار إشارة الى أمر مُهم؛ وهو أن يبقي العبد وصية لبنيه يحتاجون إليها في أُخراهم، فليس فقط وصية في المال؛ فلان له كذا، وفلان له كذا، وتصدقوا عني بكذا.

وكانت وصايا أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وسلف هذه الأُمة أولها الوصية بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وإفراده عز وجل بحق العبودية، والتذكير بهذا المقام، وأمر لهم بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وهكذا ينبغي، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ [١]» وينبغي هكذا أن يكون الإنسان له وصايا أو على الأقل وصية، ينتفع بها من يكون بعده، فتكون نافعة له نافعة لمن جاء بعده، وقد جعل لهم علامة؛ إن غابت عنهم هذه الوصية التي بيني أيدينا بقيت لهم علامة لا تُنسى وهي وصية لُقمان عليه السلام لابنه، فأوصوا أبنائكم بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وذكروهم أنهم موقوفون بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٢]}

---

(١) - أخرجه: مسلم (١٦٢٧).

(٢) - الشعراء: (٨٨-٨٩).

وأنهم محاسبون أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى، ذكروهم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أمرهم بتوحيده وإجلاله، وإفراده في ألوهيته، وفي ربوبيته، وفي اسمائه وصفاته، علموهم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يحب أن يطاع، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى يفرح بطاعة العبد، ويغضب سُبْحَانَهُ وَتَعالى بمعصية العبد، وأنهم محاسبون أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى عما اقترفت اليدان، ومشت الرجلان، وما تلكم به اللسان، ونظرت إليه العينان، وما استمعت إليه الأذنان، كل ذلك مدون مسطور في كتابٍ {لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (١)} وأن العبد مهما طال به العمر فمآله الى حفرة صغيرة يبعث منها الى يوم الحشر والبعث والنشور، فيوقف بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى محاسباً مسؤولاً عن كل صغيرة وعن كل كبيرة، فإما أن يُعطى كتابه بيمينه، وإما أن يُعطى كتابه بشماله، ويُسأل في ذلك الموقف، ويتذكر كلما مر عليه في هذه الحياة الدنيا، والله يا إخوة الحياة قصيرة، تذكر بعض المواقف اليوم التي مرت بك في الصغر فتقول سُبْحَان الله كيف فات هذا العمر، وكم من الطاعات التي عملها الإنسان في هذا العمر؟ وهل قُبِلَ منها شيء؟ أم أنها رُدَّت عليه نسأل الله السلامة والعافية، ونحن والذي قدمناه لا ندري إما أن يسوقنا الى جنة، وإما أن يسوقنا الى نارٍ تلظى، اسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يعيننا وإياكم، وأن يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، ويجعلنا له طائعين عابدين على سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأن يجعلنا نعيش على

---

(١) – الكهف: (٤٩).

توحيده مقرين بتوحيده وأن لا يقبضنا إلا على توحيده وإن طالت بنا الحياة فلا تكون إلا على توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعالى، وعلى سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

وبهذا نكون قد ختمنا هذه الوصية النافعة، المباركة، اسأل الله أن يجعلها خاتمة مباركة نافعة، وأن لا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين، وأن يجعل كل ما قلناه فيها نافعاً لنا ولمن استمع إليها، وأن يجعلنا سُبْحَانَهُ وَتَعالى ممن اذا أعطي شكر، وإذا أذنب استغفر، واذا ابتلي صبر.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعالى أن يجمعنا وإياكم في جنات النعيم، والله أعلى وأعلم،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدُ لله رب العالمين

٨/ رجب/ ١٤٤١

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【تطبيق الإذاعة】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【يوتيوب Youtube】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【تمبلر Tumblr】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【بلوجر Blogger】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【فليكر Flickr】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【لعبة كنوز العلم】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 تيك توك TikTok 】

https://tiktok.com/@baynoonanet

【 في كي Vk 】

https://vk.com/baynoonanet

【 لينكدان Linkedin 】

https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية

【 ريديت Reddit 】

https://www.reddit.com/user/Baynoonanet

【 تشينو chaino 】

https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a

【 بنترست Pinterest 】

https://www.pinterest.com/baynoonanet/

【 سناب شات Snapcha 】

https://www.snapchat.com/add/baynoonanet

【 تطبيق المكتبة 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/33uUnQr

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/WNbvqL

【 تطبيق الموقع 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/2Zvk8OS

لأجهزة الأندرويد

ـقريباً بإذن اللهـ

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

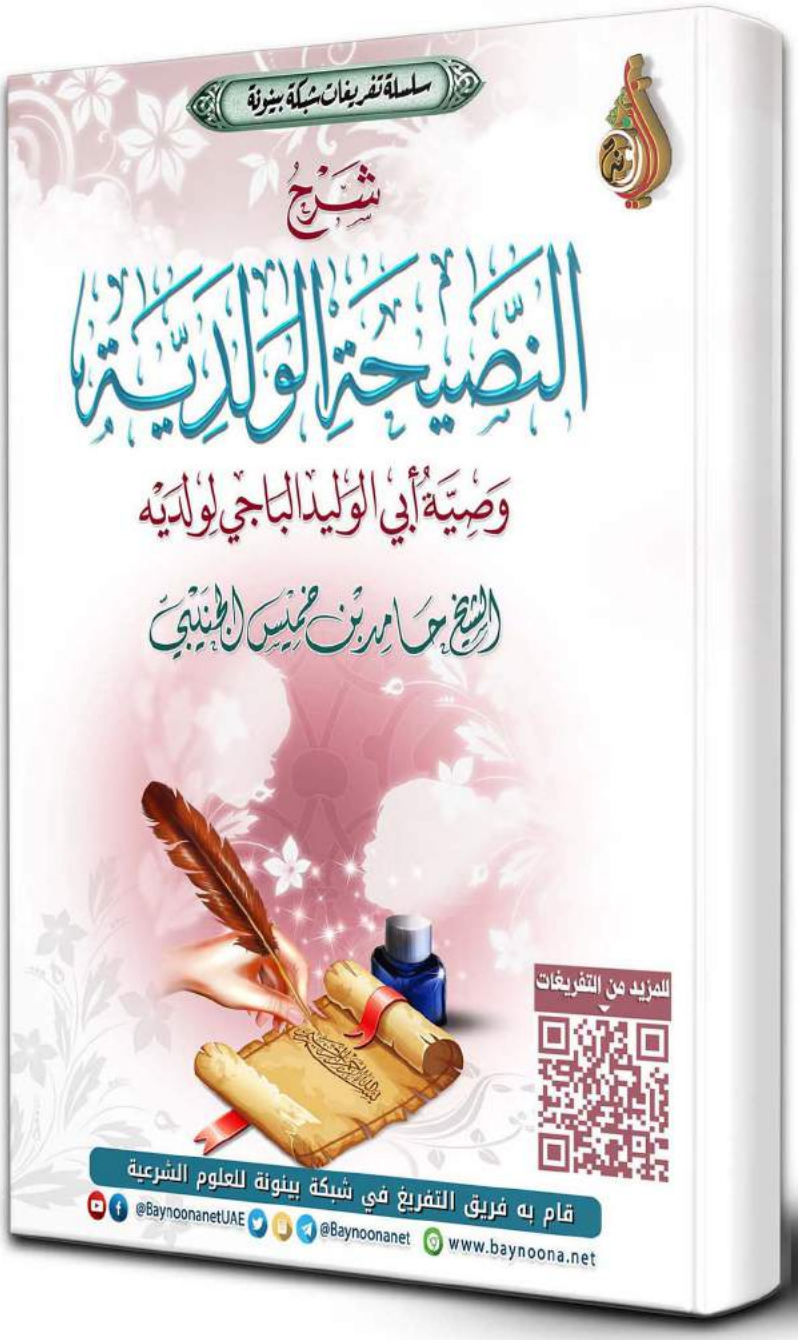

جميع الحقوق محفوظة